# ظاهرة العنف في سياسة الفاطميين تجاه رعاياهم خلال المرحلة المغربية

## (٢٩٦-٣٦٢هـ/٩٠٩-٩٧٣م)

**د.خالد حسين محمود**

**جامعة عين شمس-مصر**

**مدخل:**

من المتعارف عليه عند أهل الفكر السياسي من القدامى[١]والمحدثين[٢]وجوب السلطة وضرورتها، واستحالة الاستغناء عنها.ومع تداخل المجالين الديني والسياسي بشكل كبير في العصر الوسيط[٣]، وفي ظل تشكل الدولة السلطانية الفردية المرتبطة في مخيلة العصر بمفهوم الغلبة والقهر والاستطالة[٤]، ونتيجة غياب مرجعية قانونية للمعاقبة، ومؤسسات منظمة

---

(١)الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الحديث، القاهرة، د.ت، ص١٥، الغزالي، كتاب الاقتصاد في الاعتقاد، عارض أصوله وقدم له إبراهيم آكاه وحسين آتاي، أنقرة، ١٩٦٢، ص٢٣٦؛ النسفي، شرح العقائد النفسية، تحقيق طه سعد، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ٢٠٠٠، ص١٣٧٢٣٦؛ الشهرستاني، نهاية الإقدام في علم الكلام، حرره ألفرد جيوم، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت، ص٤٧٨٢٣٦؛ ابن خلدون، المقدمة، حققها وقدم لها وعلق عليها عبد السلام الشدادي، بيت الفنون و العلوم و الآداب، الدار البيضاء، ٢٠٠٥، ج١، ص٣٣٠٢٣٦؛ ابن تيمية، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، تحقيق وتعليق محمد إبراهيم البنا ومحمد احمد عاشور، مطابع دار الشعب، القاهرة، ١٩٧١، ص٣١ .

(٢) ثروت بدوي، النظم السياسية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٦م، ص٤٠٢٣٦؛ رضوان السيد، "المجتمع والسلطة، إشكاليتا الاستمرار والوحدة"، مجلة الفكر العربي، العددان ٣٣-٣٤، أغسطس ١٩٨٣، ص٤٢٣٦؛ علي أومليل، "الإسلام والدولة الوطنية"، مجلة الفكر العربي، العددان ٣٣-٣٤، أغسطس ١٩٨٣، ص٤٤٢.

(٣)الغزالي، إحياء علوم الدين، نشر مكتبة ومطبعة كرياطه فوترا، سماراغ، اندونيسيا، د.ت، ج١، ص١٤٢٣٦؛ عبد المجيد الصغير، الفكر الأصولي وإشكالية السلطة العلمية في الإسلام، قراءة في نشأة علم الأصول ومقاصد الشريعة، دار المنتخب العربي، ط١ ١٩٩٤م، ص٩٢٣٦؛ على أومليل، "السلطة السياسية والسلطة العلمية، الغزالي، ابن تومرت، ابن رشد"، ضمن ندوة، أبو حامد الغزالي، دراسات في فكره وعصره وتأثيره، كلية الآداب، الرباط، ١٩٨٨، ص ١٢.

(٤)ابن خلدون، م. س، ج١، ص ص ٢٢٧، ٣٢٢، ٣٢٦، ج٢، ص٢٦٢؛ الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب (القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار)، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥م، ص٤٧٨؛ عبدالله العروي، مفهوم الدولة، المركز الثقافي العربي، الدر البيضاء، ط٩، ٢٠١١م، ص١٤٥.

للعلاقات بين الحاكم والمحكوم، اعتمد حكام العصر ذوو النزوع الاستبدادي على القوة والتسلط والعنف والصرامة كمقومات للحكم[٥]، فتجاوزا العقوبات الشرعية، وجنحوا إلى امتلاك وسائل الإخضاع والاستتباع، لفرض القوة والسطوة، وكبت الحريات[٦]، وانتهاك الكرامة، وزرع الخوف في المجتمع، كضامن أساس لاستمرار الحكم، وضمان صلابته، وتحقيق مصالح ذاتية[٧] .ولعل مطالعة نصوص التراث تكشف عن ذلك بجلاء، وتفصح عن تفاقم ظاهرة العنف كمعلمٍ بارزٍ في تاريخ السلطات الحاكمة، وبشكل اعتيادي وراسخ في ذهنية الفرد والمجتمع، وبتسويغٍ ومباركةٍ من فقهاء السلطة وكتابها وشعرائها الرسميين، إلى حد الإطناب والإشادة بهذا العنف كمظهر من مظاهر تمجيد السلطة، ونجاحها في دحر خصومها، وقهر مناوئيها، وتقليم أظافر غير المنسجمين مع توجهاتها[٨].

من الصعوبة بمكان وضع تصور منهجي يضمن عرضاً موضوعياً –دونما احتواء أيدلوجي–في موضوع ملتهب كظاهرة العنف في سياسة الفاطميين، في ظل غياب مصدر محايد تماماً يتناول الأحداث بمنطقية الباحث وبعقلانية المؤرخ، فضلاً عن الاعتماد شبه التام في استقاء المادة العلمية على **مصادر مالكية** أوغلت في سنيتها، وخلطت تعظيم البطولة بالدعاية المعادية للفاطميين، وغصت بالآراء المفعمة بالعداء المستأصل، فأمعنت في ثلبهم، وهولت من سياستهم في القمع والاضطهاد والتعذيب والتصفية الجسدية[٩]، وأخرى **رسمية**

---

(٥) ثمة ثلاثة أوجه أو كيفيات أساسية لممارسة السلطة، الكيفية القسرية، بممارسة القوة والعنف والإكراه لكسب الخضوع، والكيفية التعويضية، بالاعتماد على الثروة والمال والهبات والهدايا، والكيفية التلاؤمية، باعتماد الحوار وتبادل الرأي والتوافق مع الآخر واحترامه وعدم اضطهاده لإخماد صوته واغتصاب ولائه.انظر سالم القلموني، سيكولوجية السلطة بحث في الخصائص النفسية المشتركة للسلطة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٩م، ص ٣٨–٣٩.

(٦) العروي، م. س، ص١٤٥.

(٧) منصور اولسون، السلطة والرخاء، ترجمة ماجدة بركة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٣ ، ص ص٥١، ٦١.

(٨) تتجلى تلك الرؤية في كتابات الفاطميين.انظر، ابن حيون المغربي، كتاب افتتاح الدعوة، تحقيق فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ١٩٧٥م، ص١٧١؛ كتاب المجالس والمسايرات، تحقيق الحبيب الفقي وآخرون، دار المنتظر، بيروت، ١٩٩٦م، ص٤١٨؛ إدريس، م.س، ص ص٤٧٤–٤٧٥.

(٩) تند تلك المصادر عن الحصر، منها على سبيل المثال، ابن النديم، الفهرست، تحقيق إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٧، ص٢٣٣؛ المالكي، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية، تحقيق بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٩٤، ج٢، ص٥٠٤–٥٠٥؛ اللبيدي، مناقب أبى إسحاق الجبنيانى، تحقيق روجيه إدريس، باريس، ١٩٥٩، ص٦٥؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق، شعيب الارناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٩، ١٤١٣هـ ، ج ١٥، ص١٥٤.

**إسماعيلية**[١٠]مفرطة في شيعيتها قد أطنبت في الترويج للحرص الدءوب للحكم المركزي على التمسك بناموس العدل، والسير على مبدأ الإحسان إلى الرعية والرفق بها، وقبض يد الجور عنها، وإزالة الغشم منها، والتعامل معها بالصفح والعفو والرحمة والشفقة واللطف[١١].ومهما تم الادعاء بتوخي الحذر تجاه النصوص المعتمدة والتي تبنت لغة الأرقام، أو تلك التي غلفتها المبالغة والتهويل في تقدير حجم الخسائر البشرية[١٢]، إلا أن ذلك لا يحجب حقيقة العنف كظاهرة غلبت على سياسة الفاطميين، والذي بلغ حداً من الشمولية عمت مناحي الحياة السياسية والاجتماعية، وصبغت المجتمع بطابعها المأساوي، وخلفت نتائج ديموغرافية كارثية في بعض المناطق، وهي حقيقة تردد صداها حتى على ألسنة الفاطميين أنفسهم، فها هو المهدي لا يخفي تلذذه بتصفية مخالفيه بشتى أصناف التعذيب واستعذابه أن يرى وفودهم يتضرعون بين يديه"واستغاثتهم وسؤالهم ورغبتهم واسترحامهم"[١٣]، وفي آخر خطبة له قبيل رحيله للمشرق عدد المعز الفاطمي مظاهر العنف والتصفية الجسدية التي مارسها أسلافه ضد "أهل العناد منهم من أغرقنا ومنهم من دمرنا ومنهم من أهلكنا..فلما أسرفوا انتقمنا منهم بعباد لنا أولي باس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولا"[١٤]، كما لم تخل خطب الخلفاء من لغة التهديد والوعيد، والتلويح باستخدام العنف لمواجهة التمرد والعصيان؛كوسيلة لبث الخوف والرعب وترسيخ الهلع في قلوب الرعية، فما أن استقر

---

(١٠) عن مؤلفات كتامية مبكرة مفقودة انظر، Poonawala, I., *Bibliography of Ismaili Literature* (Malibu,California, 1977) , pp. 48-68.

(١١) على سبيل المثال: ابن حيون، افتتاح، ص٢٥٤، ٢٥٦، ٢٧١، ٢٧٣، ٢٩٨، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، المجالس، ص ص٦٩-٧٠، ٩٢؛ المناقب والمثالب، تحقيق ماجد العطية، منشورات مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٢م، ص٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩؛ الرسالة المذهبة، تحقيق عارف تامر، دار الإنصاف، سوريا، ١٩٥٦م، ص٧٧، كتاب الاقتصار، ص٧٥ ؛ الجوذري، سيرة الأستاذ جوذر وبه توقيعات الفاطميين، تحقيق محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادي، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٥٤م، ص٦٣ ، ١٠١؛ إدريس، المرجع السابق، ص٣٦، ١٣٨ ، ١٧٧، ٢٤٥ ، ٢٦٣، ٣٧٩.

(١٢) قد تخفف البحوث الأثرية مستقبلاً من حدة تلك المبالغات بالكشف عن مقابر جماعية لقتلى الكوارث البشرية.وعن المقابر الجماعية بالمغرب الوسيط انظر، الذهبي، تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام ، تحقيق شار عوّاد معروف، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ٢٠٠٣م ، ج٧، ص٤٦٠؛ ابن غازي، الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط٢، ١٩٨٨م، ص١٩.

(١٣) ابن حيون، المجالس، ص٤٤٦.

(١٤) الداعي إدريس، زهر المعاني، تحقيق مصطفى غالب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩١م، ص٢٣٣.

المهدي بالقيروان حتى أرسل بكتاب يُقرأ على منابر افريقية توعد فيه "كل من نكث عليه وخان أمانته ونقض عهده وخفر ذمته..في الخلاف عليه وإطلاق الفتنة من عقالها، وكل من أوقد عليه نار الحرب، أحرقته بنارها وكلمته بأظفارها...حتى يقمع الكفر والإلحاد ويدوخ أطراف البلاد"[١٥]، وهدد مخالفيه بأشد ألوان "البأس والنقمة والدمار والهلكة"[١٦]، وجاء على لسان المعز في إحدى خطبه:"أنا الحبل من تمسك بي نجى، ومن تخلف عني هلك وهوى ...من عصى أمري واتبع هوى نفسه ضل وغوى، ونزل به سخطي، وحل ساحته نقمتي، وأخذه العذاب من كل مكان وباب...ونزعت عنه النعمة..وأهرقت دماءكم واستحلت وعظم الفساد فيكم وهتكتم حريمكم، وسعيتم في خراب دياركم بخلافكم لنا وانحرافكم عنا"[١٧]، كما جرت عادة الفاطميين باتخاذ منابر افريقية وسائل إعلام تتلى من خلالها مناشير السلطة المتضمنة مظاهر تسلطها على مخالفيها بقتل الأنفس، وغنيمة الأموال، وسبي الذراري[١٨]، والتباهي بأنه قد "ذلت الرقاب وأطاعت"[١٩].

هكذا بات العنف كامناً في بنية خطاب السلطة[٢٠]، انطلاقاً مما شاع في ثقافة العصر بأن:"الملك إنما يحصل بالتغلب"[٢١] وأنه "يُنتدب لطلب الملك أولو القوة، ويتوثب عليه ذوو القدرة"[٢٢]، وما ترسخ في ذهنية الحكام من أن سطوتهم وهيبتهم وخوف الرعية منهم هي

---

(١٥) ابن حيون، افتتاح، ص٢٩٧، إدريس، تاريخ، ص١٧٣.

(١٦) ابن حيون، م. س، ص ١٠٠، ٢٥٣.

(١٧) إدريس، زهر المعاني، ص٢٣٣.

(١٨) ابن عذاري، كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج١، تحقيق، ج.س كولان وليفي بروفنسال، ط٣، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣، ص ١٦٢، ١٦٥، ١٧٠، ٢٠٤؛ إدريس، تاريخ، ص٤٧٥-٤٧٦.

(١٩) إدريس، زهر المعاني، ص٢٢٩.

(٢٠) يُقصد بخطاب السلطة ما يصدر عنها من إنتاج كلامي مكتوب أو منطوق أو رمز تعبيري موجه إلى جمهور مستهدف لإقناعه وتوجيهه إلى مقاصدها.محمود عكاشة، خطاب السلطة الإعلامي، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، ، ط٢، ٢٠٠٧، ص٢٨.واعتبر ميشيل فوكو أن الخطاب ينتج السلطة ويقويها.انظر كتابه، إرادة المعرفة، ترجمة جورج أبي صالح، مركز الإنماء العربي، ١٩٩٠، ص١٠٩، ثم تابع مقال الزواوي بغورة، "الخطاب بين المجتمع والسلطة والمقاومة"مجلة إبداع، مصر ، مج ١٨، ع ٦ ، يونيو ٢٠٠٠م، ص ص١٣٦-١٤٢.

(٢١) ابن خلدون، م. س، ج١، ص ٢٢٧، ٣٢٢، ٣٢٦، ج٢، ص٢٦٢.

(٢٢) الماوردي، تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك وسياسة الملك، تحقيق ودراسة رضوان السيد، دار العلوم العربية، بيروت، ١٩٨٧، ص٨٨.

دعامات كبرى لنفاذ حكمهم واستمرار سلطانهم[٢٣]، وعليه، تجلت لغة التعالي السلطوي والتفاخر بالسطوة والقوة والملكوت، وتقنيات الخوف والترهيب عند الفاطميين[٢٤]، فبعد إسقاطه لدولة الأغالبة بعث أبو عبدالله الشيعي بكتاب قُرء على كل منابر افريقية افتخر فيه بقدرته على اكتساح المغرب وإذلال أهله حتى انقادت إليه"الأمور بأزمتها، وسلست أعنتها"[٢٥]، وفاخر المنصور في إحدى خطبه بما أوتي من وسائل الغلبة والقهر، والتي تزيل الجبال وتخرق البحار[٢٦]، معتبراً إياها من بهاء الخلافة وسناء قدرها وجلالها ونافذ سلطانها وساطع برهانها[٢٧]، ومظهراً من مظاهر الإعزاز والظفر والنصر والتعالي والسطوة[٢٨]، وحض المنصور أحد عماله"حضاً شديداً على الصرامة وأن يكون مراً مريراً شرساً، فانه في بلد قد أسكرت أهله النعمة وأبطرهم الإحسان واعتادوا ..أشياء لا يخرجها من رؤوسهم إلا السيوف، وليكن صعباً مستصعباً"[٢٩]، وفي السياق ذاته افتخر المعز بكثرة ما عنده من الجند والعساكر[٣٠]، مما زرع "هيبته في صدور الناس"[٣١] و"شدد من سلطانه وأكد من عزه وبسط من قدرته"[٣٢]، وتوعد مخالفيه قائلاً"لو ظفرنا بهم لما حكمنا فيهم إلا بالقتل أو..الملك والسبي"[٣٣]، بل وصل الأمر بأحد قادة الفاطميين ويدعى خليل بن إسحاق في مجلس حضره جماعة من وجوه الناس أن يتفاخر بكثرة أعداد المقتولين على يديه من الرعية بقوله:"إني قتلت ألف ألف يقوله المكثر، والمقل يقول مائة ألف"[٣٤].

---

(٢٣) ابن حيون، المسايرات، ص٧٠؛ الغزالي، التبر المسبوك في نصيحة الملوك، تحقيق محمد مصطفى أبو العلا، مكتبة الجندي، القاهرة، د.ت، ، ص٨؛ الرازي، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩م، ج٣، ص٩٥.

(٢٤) ابن حيون، المسايرات، ص٧٠؛ ابن عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة، دار المصطفى، القاهرة، د.ت ، ج٢، ص٦٠٢.

(٢٥)ابن حيون، افتتاح، ص٢٧١.

(٢٦) ابن حيون، المسايرات، ص٤١٩.

(٢٧) إدريس، تاريخ، ص٤٦٠.

(٢٨) الجوذري، م. س، ص٥٩.

(٢٩) الجوذري، م. س، ص٧١.

(٣٠) ابن حيون، المسايرات، ص١٨٩.

(٣١) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٢٨، تحقيق نجيب مصطفى فواز وحكمت فواز، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م، ص٥٥.

(٣٢)ابن حيون، المسايرات، ٤٢٦.

(٣٣) نفسه، ص ١٧٩ .

(٣٤) ابن عذاري، م.س، ج١، ص٢١٥ .

وفي زمن مثّل فيه الجيشُ محوراً مركزياً للسلطة[٣٥]والسيفُ تقنية ثمينة للسمو والتفوق والتأكيد على الهيمنة وسعة النفوذ، والحد من أي تحقير لها أو إهمال لسطوتها[٣٦]، حرص الفاطميون على الحضور بثقلهم العسكري، والإبقاء على قوات مسلحة قوية ومكلفة وقادرة على كبح جماح المناوئين[٣٧]، كما أولو اهتماماً ملحوظاً بإبراز مظاهر القوة والهيمنة من خلال استعراض قوة الجيش وحسن تنظيمه وكثرة أفراده[٣٨].

**مولدات استيهام لعنف ومبرراته في ذهنية الفاطميين.**

لغوياً تم تعريف العنف بأنه: الخرق بالأمر وقلة الرفق والرأفة، ليشمل كل سلوك يتضمن معاني الشدة والقسوة والتوبيخ والتقريع[٣٩]، وفي كثير من التفسيرات الاجتماعية والنفسية يُعرف بأنّه:السلوك المؤدي للمس بالآخر سواء كان جسمانياً أو نفسياً، انطلاقاً من ثقافة عدم الاعتراف بحقوقه المادية والمعنوية، مما يؤدي إلى فرض وتكريس روح وآليات الاستبداد على مختلف أشكاله وألوانه[٤٠].ويأخذ العنف بُعداً سياسياً حين يتم استخدامه–سواء

---

([٣٥]) ابن حيون، دعائم الإسلام، تحقيق آصف بن علي فيضي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣م، ج١، ص٣٥٧.

([٣٦])ابن الأزرق، بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق علي سامي النشار، وزارة الإعلام، العراق، د.ت، جـــ١، ص ١٩٦ .

([٣٧])ابن حيون، افتتاح، ص٣٠٣؛ المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولى، ط٣، ١٩٩١، ص٢٤٣؛ ابن عذاري، م. س، ج١، ص٣٠٩؛ ابن الخطيب، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، تحقيق أحمد مختار العبادي و محمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٦٤م، ص٥١، إدريس، تاريخ، ص١٧٧.

([٣٨])ابن حيون، افتتاح، ص١٩٣، ٢٩٢؛ ابن حماد، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق التهامي نقرة وعبد الحليم عويس، دار الصحوة للنشر، القاهرة، ص٣٩؛ إدريس، تاريخ، ص١٧٦؛ المقريزي، المقفى الكبير، تحقيق، محمد اليعلاوى، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩١، جـــ٢، ص ١٣٠.

([٣٩]) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٩٩٤، ج٩، ص٢٥٧؛ المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ٢٠٠٥، ص٦٣١؛ جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ج٢، ص١١٢.

([٤٠]) اليزابيث بيكار وآخرون، ظاهرة العنف السياسي من منظور مقارن، مركز البحوث والدراسات السياسية، جامعة القاهرة، القاهرة، ١٩٩٥، ص١٦؛ رفيق سكري، "العنف الفكري والدعاية السياسية"، مجلة الفكر العربي، معهد الإنماء العربي للعلوم الإنسانية، ع٧١، مارس ١٩٩٣م، ص١١٦؛ زيد بن علي الفضيل، "العنف في الخطاب الفكري وتداعياته، التأثير السياسي على جدلية العلاقة بين الحقيقة و المجاز في خطابنا الفكري الإسلامي"، مجلة المسار، مج ١٢، ع٣ ، ٢٠١١، ص٨٤؛ خليل أحمد خليل، "سوسيولوجيا العنف"، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي، لبنان، ع ٢٧ ،٢٨، ١٩٨٣م، ص١٩.

بالاعتداء الجسدي أو الشفهي-لإلحاق الأذى والضرر بالآخرين لتحقيق أهداف سياسية[٤١].وفي ظل الدولة التي تتدثر بالدين يكون العنف أشد ضراوة؛حيث يسهل إيجاد مبررات دينية كافية من خلال توظيف النصوص المقدسة، وتأطير المسوغ القانوني والاجتماعي لتغليف العنف المادي والمعنوي للحكام، بغية إحكام السيطرة، وفرض القمع، وتصفية الخصوم، ومصادرة كل مظاهر الحريات[٤٢].

ثمة جملة من السمات والخصائص النفسية المشتركة لا تخلو منها أي سلطة:كالرغبة في الاستقرار والاستمرار في السلطة، والهيمنة والإخضاع وضمان الولاء، ودفع المعارضين وإزاحتهم عن الساحة، وإقصاء المناوئين والخارجين عن الطاعة، والحفاظ على أمنها ومصالحها والسعي في تحقيق أهدافها الخفية والمعلنة، فضلاً عن اتخاذها من العنف ستاراً تواري خلفه فشلها في استخدام كيفيات ووسائل أخرى أكثر مرونة وأكثر أخلاقية، وتشكل تلك الخصائص ما يمكن تسميته بـــــ"سيكولوجية السلطة" أو "البنية النفسية للسلطة"[٤٣].

إن محاولة النبش في تاريخ العنف الذي ميّزَ سياسة الفاطميين في بلاد المغرب؛لا تتأتى بمعزل عن المبدأ العام الذي قدمت فيه السلطة نفسها كمركز وحيد لممارسة العنف بعد شرعنته من خلال توظيف الدين[٤٤]، وتكريس شتى الطقوس بما في ذلك الخرافات[٤٥]، لتثبيت شرعيتها وإضفاء القداسة عليها[٤٦]، وترسيخ هيبتها وغلبتها وتحطيم القوى المنافسة

---

(٤١) Levin, R., & Campbell, T., *Ethnocentrism: Theories of Conflict Ethnic Attitudes and Group Behavior*, New York, 1972, pp.257-258; Paul Wilkinson, *Terrorism and the liberal state* (New York, 1977), p.30.

(٤٢) العروي، المصدر السابق، ص ١١٥-١١٦؛ الفضيل، المصدر السابق، ص٨٦؛ عبد الناصر حريز، الإرهاب السياسي دراسة تحليلية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٦، ص٤٨.

(٤٣) القلموني، م.س، ص٢١، ٥١؛ كولن ولسون، سيكولوجية العنف، ترجمة رفعت السيد علي، جماعة حور الثقافية، ٢٠٠١، ص١١١.

(٤٤) في حين أكد عبد الجواد ياسين أن "التاريخ السياسي كامن خلف تاريخ العقيدة والفقه والأصول"(انظر كتابه، السلطة في الإسلام، العقل الفقهي السلفي بين النص والتاريخ، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٨م، ص٩٢)اعتبر ياسر الهلالي "تاريخ مركزية النص المقدس هو تاريخ إعدام الخصوم".(انظر مقاله، "عنفنا الأليف و مستقبلنا المخيف"، مجلة فكر ونقد، المغرب، ع ٥٥، يناير ٢٠٠٤، ص١٠١).

(٤٥) حسين الصديق، الإنسان والسلطة، إشكالية العلاقة وأصولها الإشكالية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١، ص١٦.

(٤٦) العروي، المصدر السابق، ص١٤٣.

لها[٤٧]، وإضافة حرمة اللاهوت لجبروت الغلبة والقهر[٤٨]، لتجاوز العقوبات الشرعية، وتحقيق أعلى قدر من الردع[٤٩]، فيما يعرف بـــ"العنف المقدس"[٥٠]، والذي كرس له فقهاء السلطة المتغلبة، ونقلوه إلى مستوى الحقيقة[٥١]؛ حين جعلوا من الإسلام مطيةً لترسيخ منظومة ثقافة الاستبداد والتسلط، وحاطوا السلطة بهالة القداسة واعتبروها غير قابلة للنقاش أو التساؤل، وفرضوا على الرعية الإذعان والطاعة لها، وأدرجوا المخالفين لها ضمن دائرة الزندقة والهرطقة[٥٢]، وجرموا مجرد التعبير عن المقاومة واعتبروه "فساد للدنيا وإفساد للدين"[٥٣]، وإن أنظمةً هذه بنيتها لا يمكن أن يفلح في حكمها سوى حكام يتميزون بالقسوة والاستبداد وسفك الدماء[٥٤].

لم يشذ الفقه السياسي الفاطمي عن تلك الرؤية؛فارتكز على تشريع العنف وتسويغه سياسياً وأخلاقياً بأدلة شرعية مزعومة، ففضلاً عن الطابع الثيوقراطي الذي ميز حكم الفاطميين[٥٥]، والمؤَسَس على قاعدة الملك الإلهي[٥٦]والميراث الرباني[٥٧]والنبوي[٥٨]، اعتبر

---

([٤٧]) انظر كيف اعتبر هادي العلوي الأحكام السلطانية في مجملها مطالب أكثر منها وقائع. فصول من تاريخ الإسلام السياسي، مركز الأبحاث والدراسات الاشتراكية في العالم العربي، قبرص، ١٩٩٩، ص٦.

(٤٨) محمود إسماعيل، "من سمات الخطاب السلطوي إزاء نشاط المعارضة في الإسلام"، أدب ونقد ، مصر،مج ٥، ع ٤٢، ١٩٨٨، ص٢٩.

([٤٩]) إدريس، تاريخ ، ص٢٢٦.

([٥٠]) محمد أركون، نزعة الأنسنة في الفكر العربي جيل مسكويه والتوحيدي، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، ١٩٩٧، ص٣٧.

([٥١]) انظر بهذا الخصوص ، كمال عبد اللطيف، في تشريح أصول الاستبداد، قراءة في نظام الآداب السلطانية، دار الطليعة، بيروت، ١٩٩٩م.

([٥٢]) محمود إسماعيل، "فقهاء الرب وفقهاء السلطان"، أدب ونقد، مصر، ع ٢٢٦، ٢٠٠٤ م، ص٣٣.وحول تبعية الأحكام لقهر السلطة انظر، ابن بشكوال، الصلة في أخبار أئمة الأندلس، نشر السيد عزت العطار، القاهرة، ج٢، ١٩٦٦، حكام، تقديم إحسان عباس، بيروت، ١٩٨٣، م٢، ص١٦٧؛ ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، تونس، ج٥، ١٩٨١، ص١٨٠-١٨١؛ ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تحقيق محمد أحمدي أبو النور، القاهرة، ١٩٧٢م، ج١، ص٣٨٢. ومما وورد على لسان القاضي ابن حيون وهو يبرر انتصابه للدفاع عن الفاطميين" أدخلنا في هواهم حَلْواهم".الذهبي، تاريخ، ج٨، ص٢٢١.

([٥٣]) محمود إسماعيل، "صور المقاومة في المخيال الشعبي"، أدب ونقد، مصر، ع ٢٥٢، ٢٠٠٦ ، ص٩٤.

([٥٤]) ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م، ج١، ص٣٦٩.

([٥٥]) Ivanow, W., *Ismaili Tradition Concerning the Rise of the Fatimids* (London, 1942), p.111.

الأئمة أنفسهم أولياء الله، الذين اصطفاهم واجتباهم سادات للورى، وأئمة للعباد، وأمناء على الخلق، ومستودعاً للعلم، وحفظةً للأسرار، ودعائم للإيمان، وقرن طاعته بطاعتهم[٥٩]، مؤسسين لعصمةٍ تُعطي تبريراً لجميع تصرفاتهم ولو كانت جرائم وانحرافات عن الدين والتقاليد[٦٠]، بدعوى أن كل ما يصدر عنهم "حق وصواب وصدق"[٦١]، لأنهم "ينظرون بنور الله في جميع أمورهم"[٦٢]، "وبأحكامه يقضون ويحكمون"[٦٣].

استناداً إلى تلك المعطيات راح القاضي النعمان يقدم أفضل السبل للحفاظ على السلطة، فجعل من حكم الفاطميين نقطة إرساء للعدل وحفاظ على الأمن، في مجتمع عُرف بانشقاقاته وخلافاته المذهبية[٦٤]، وأوجب على الرعية تعظيم الأئمة وإجلالهم[٦٥]، والتعبد"بطاعتهم..والعمل بما ..يرضيهم قولاً وعملاً ونية"[٦٦]، والتسليم لأمرهم، وترك الاعتراض عليهم، وانتقادهم، وتعقب أفعالهم[٦٧]، وضرورة الصبر عليهم "في حال الضيق والشدة والبأساء والضراء والمحنة"[٦٨]، واصفاً من خالف ذلك بأنه"الشقي الخاسر"[٦٩]، معتبراً قتاله نصرة للدين وتحصيناً للأمة[٧٠]، ومبرراً استئصال المعاندين والمنتزين بأنهم "مجاهرين

---

([٥٦]) الجوذري، م.س، ص٧٩، ابن حيون، الرسالة المذهبة، ص٢٨، إدريس، تاريخ، ص٤١١، ٤٣١.

([٥٧])ابن حيون، المسايرات، ص٢٧١، الجوذري، م.س، ص٥٤، إدريس، تاريخ، ص٤٧٥.

([٥٨]) ابن حيون، افتتاح، ص٢٩٥.

([٥٩]) المعز الفاطمي، تأويل الشريعة، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، تحت رقم ٣٥٧ متفرقات، 25288 ميكروفيلم، ورقة ٨٩-٩٠؛ ابن حيون، الرسالة المذهبة، ص ٨٤، المسايرات، ص٤٢٠؛ آداب إتباع الأئمة، تحقيق مصطفى غالب، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٥م، ص٩٠؛ المناقب والمثالب، ص٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩؛ الجوذري، المصدر السابق، ص٧٩؛ إدريس، تاريخ، ص٤٢٠، هر المعاني، ص٢١٩.

([٦٠]) Ivanow, *Ismaili Tradition*, p.113.

([٦١]) ابن حيون، إتباع الأئمة، ص٩١، ٩٣، ١٠٠.

([٦٢]) الجوذري، م.س، ص٣٤.

([٦٣]) ابن حيون، إتباع الأئمة، ص١٩٣.

([٦٤]) ابن حيون، افتتاح، ص٢٥٣.، ص١٠٠، دعائم الإسلام، ج١، ص٣٥٤.

([٦٥]) ابن حيون، المسايرات، ص٥٧.

([٦٦]) م.س، ص٤٥.

([٦٧]) ابن حيون، إتباع الأئمة، ص١٩٣.

([٦٨]) ابن حيون، المسايرات، ص٥٦.

([٦٩]) ابن حيون، افتتاح، ص١٨٥-١٩٦؛ إتباع الأئمة، ص٢١-٢٣.

([٧٠]) إدريس، تاريخ ، ص٤٢١.

بالمعصية والحرب لولي الله....استحقوا القتل بنكثهم ومباينتهم"[٧١]، وأضفى على العقوبة التي تنزل بهم وبغيرهم من المخالفين الخارجين ومثيري الفتن–مهما كانت قساوتها– صبغة شرعية، معتبراً إياها انتقاماً ربانياً وعقاباً إلهياً وتخليصاً للنفس من شرورها[٧٢]، وذهب إلى الحسم في مآل هؤلاء بأنهم من أهل النار في الآخرة[٧٣]، ومن ثم فلا غرابة أن يتمتع النعمان[٧٤]بمكانة مرموقة لدى الخلفاء الفاطميين[٧٥]باعتباره قاعدة فقهية صلبة اعتمدوا عليها في شرعنة أفعالهم.

وفي سياق "المقدس" أيضاً تندرج قاعدة أخرى أطرت من منظور ديني تعامل السلطة الفاطمية مع الخصوم والمناوئين وتتمثل في مبدأ "التكفير"، إذ كان النزاع السياسي والخلاف المذهبي كفيلين بأن يدرج كل فريق خصمه وعدوه في عداد الكافرين[٧٦]، وعندها يجوز استباحة الدماء وسبي الحريم وأسر الرجال، ونهب الممتلكات[٧٧]، وهو ما حدا بأحد الباحثين[٧٨]إلي التأكيد على أن التكفير "هو المدخل الشرعي للإبادة"، وبآخر[٧٩] إلى القول بأن

---

([٧١]) ابن حيون، افتتاح الدعوة، ص٣٢١ ، ٤١٩.

(٧٢)ابن حيون، المسايرات، ص٧٢، ١٠٢؛ افتتاح الدعوة، ص ١٠٠ ، ١٧٩، ٢٥٣ ، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٣، ٤١٩.

(١٧٣ ابن حيون، افتتاح الدعوة، ص٣٣٤، المسايرات، ص٤١٩.في إحدى خطبه حث المنصور أنصاره لقتال الثوار والمناوئين بقوله "انتم حزب الله وهم حزب الشيطان وقتيلكم في الجنة وقتيلهم في النار". الجوذري، م.س، ص٥٤–٥٥.

([٧٤])عنه وعن دوره البارز في خدمة الفاطميين خلال المرحلة المغربية انظر إسماعيل السامعي، الدولة الفاطمية وجهود القاضي ابن حيون في إرساء دعائم الخلافة ببلاد المغرب العربي، مركز الكتاب الأكاديمي، الجزائر، ٢٠١٠م؛ إسماعيل بونوالا، "القاضي ابن حيون والفقه الإسماعيلي"، ضمن كتاب الإسماعيليون في العصر الوسيط، ترجمة سيف الدين القصير، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، ١٩٩٩، ص ١٢٥–١٤٦.

(٧٥)إدريس، تاريخ، ص٣٨.ومما ورد على لسان المنصور "يا نعمان إذا جزى الله المحسنين خيرا فجزاك الله عنا أفضل الجزاء".ابن حيون، المسايرات، ص٥١.

(٧٦) حول صيرورة هذه الظاهرة في العالم الإسلامي خلال العصر الوسيط انظر، إخوان الصفا، الرسائل، القاهرة، ١٩٢٨، جـ٣، ص٥٣٧؛ ابن عساكر، تبيين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبى الحسن الأشعري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٤، ص٤٠٥–٤٠٧. ويبدو أن استشراء الظاهرة قد استفز أصواتاً فقهية تعالت للتنبيه على خطورتها ونتائجها الكارثية.انظر على سبيل المثال الغزالي، كتاب الاقتصاد في الاعتقاد، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٩٧٨، ص١٥٧.

(٧٧) شهدت بلاد المغرب تأصيلاً تاريخياً لظاهرة تكفير المخالفين ومنذ عصور مبكرة.انظر،
Bloch, M., *Slavery and Serfdom in the middle Ages* (London, 1975), p.27.

([٧٨]) ياسر الهلالي، م.س، ص٩٩.

"مؤدى التعارض المذهبي كان في الغالب الأعم التكفير المتبادل، ومن جهة أخرى أن الوجه الآخر لممارسة السياسة كان هو الموت".

كان **تكفير المخالف** سلوكاً ثابتاً معتمداً على معتقد الفاطميين[٨٠]الذين اعتبروا أنفسهم"حزب الله"[٨١]و"أنصار الحق"[٨٢]، متهمين من خالفهم بأنهم:"أعداء الله"[٨٣] و"أحزاب الكفر"[٨٤] و"الضلال.. وفراش النار"[٨٥] "الفاسقين الكفرة..الفجرة"[٨٦] "الأرجاس الأنجاس"[٨٧] "المارقين"[٨٨] "العصاة الضالين"[٨٩]، "الناكثين"[٩٠]، لأنهم"كانوا لأولياء الله معادين غير مقرين ولا معترفين"[٩١]، فتمادوا بذلك في "الشيطنة والابليسية"[٩٢]، وتدرعوا "جلباب الكفر، وإظهار الشقاق والنفاق والمروق عن الدين والملة"[٩٣]، فصار قتالهم جهاداً[٩٤]وقتلهم عدلاً وإنصافاً[٩٥].وهكذا بات من عادة الفاطميين بعد انتصارهم "قتل الرجال وسبي النساء

---

([٧٩])سالم حميش، "في التاريخ المونوغرافي، نموذج الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون"، ضمن أعمال ندوة الحاضرة الإسماعيلية، منشورات كلية الآداب، مكناس، ١٩٨٨، ص٢٠٩.

([٨٠]) تابع نظرة الفاطميين للرعية نظرة العبيد عند المالكي، م.س، جـــ٢، ص ٥٩، ٦٠؛ الذهبي، أعلام النبلاء، جـــ١١، ص ٢٤٩ .

([٨١]) الجوذري، م.س، ص٥٤-٥٥.

([٨٢]) ابن حيون، افتتاح، ص ص ٢٥٣.، ٢٩٦، إتباع الأئمة، ص٦٤.

([٨٣]) ابن حيون، افتتاح، ص١٨٨.

([٨٤]) ابن حوقل، صورة الأرض منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٩٢، ص٧٤.

([٨٥]) الجوذري، م.س، ص٥٤-٥٥.

([٨٦]) إدريس، تاريخ، ص٣٠٣ ، ٣٨٢، الجوذري، م.س، ص٤٤-٤٥.

([٨٧]) الجوذري، م.س، ص٥٧.

([٨٨])ابن حيون، الرسالة المذهبة، ص٣٧، إدريس، تاريخ، ص٢٦٤، ٣٩١، ٤٠٠، ابن حوقل، م.س، ص٧٤.

([٨٩]) ابن الخطيب، م.س، ص٥١.

([٩٠]) ابن حيون، الرسالة المذهبة، ص٣٧.

([٩١]) إدريس، زهر المعاني، ص٣٢٦، ٣٣٠.

([٩٢]) إدريس، م.س، ص٣٢٥، ٢٢٠.

([٩٣]) ابن حيون، افتتاح، ص١٩٥، إدريس، تاريخ، ص١٩١، ٢٧٤.

([٩٤]) ابن حيون، المسايرات، ص ص١٩٠ ، ٢٢٢، ، ٢٣٠، ٢٣٤؛ افتتاح الدعوة، ص ٢٢٢ .

([٩٥]) ابن الأبار، الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م، ج١، ص١٩٤، البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، (د.ت)، ص٩٥.

والذراري"[٩٦].وللحط من شأن المخالفين وتبريراً لقتلهم دائماً ما تم الترويج أنهم"أباحوا الزنا والمحارم وجاءوا بتخليط عظيم"[٩٧]، و"استحلوا المحارم"[٩٨]"والفسوق وارتكاب المعاصي والمجارم واستعمال المآثم وتضييع حقوق الله وتعطيل حدود الله"[٩٩]، "واعتادوا شرب الخمور والفجور..والشهادة بالإفك والزور"[١٠٠]، وأنهم لا يتبعهم إلا كل "داعر ومفسد وقاطع طريق وسارق ومارق"[١٠١].

ترتبط ظاهرة عنف السلطة بحالة **عدم الاستقرار السياسي**، والتي تتميز بالمرونة والنسبية، وعجز السلطة عن التكيف والتأقلم، مما يتسبب في مزيد من الضغوط عليها، فتلجأ إلى القوة والإكراه وتوسيع دائرة العنف لمقاومة هذه الضغوط والتحكم فيها[١٠٢]، وهو ما ينطبق على حكم الفاطميين لبلاد المغرب[١٠٣]، والذي رافقه-نتيجة الصبغة القبلية والمذهبية[١٠٤]-الثورات والتمردات العارمة في طول البلاد وعرضها[١٠٥]، والتي كادت في بعض الأحيان أن تعصف بهم، وهو ما دفع بالداعي إدريس[١٠٦]إلى القول بأن دولتهم كانت

---

([٩٦])ابن حيون، كتاب الاقتصار، تحقيق محمد وحيد ميزرا، دمشق، ١٩٥٧م، ص٧٧ ، شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، تحقيق محمد الحسيني الجلالي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٠٧هـ، ج٣، ص٤٢٥.

([٩٧])ابن حيون، افتتاح ، ص٣٢٥. ،

([٩٨])ابن حيون، م.س، ، ص٣٢٩.

([٩٩]) الجوذري، م.س، ص٣٥؛ إدريس، زهر المعاني، ص٢٢٧.

([١٠٠])إدريس، تاريخ، ص٣٣.

([١٠١])إدريس، م.س، ص٢٧٧.

([١٠٢]) قبي آدم، "رؤية نظرية حول العنف السياسي"، مجلة الباحث، الجزائر، ع١، ٢٠٠٢م، ص١٠٨ - ١٠٩.

([١٠٣]) حول الفوضى السياسية والأمنية خلال تلك الفترة انظر الازموري، بهجة الناظرين وانس العارفين، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية تحت رقم ٤٣٧، تاريخ، ورقة ٣٩، الجوذري، م.س، ص٤٩، المقدسى، م.س، ص ٣١٦، ابن الآبار، م.س، جـ١، ص١٨٦.

([١٠٤]) من المتعارف عليه أن السلطة تلجأ إلى القمع السياسي حين تفتقد قاعدة شعبية تكفيها لتثبيت حكمها، فتعمد إلى وسائل مبتكرة في العنف والتعذيب كوسيلة معوضة عن عزلة الحاكم ، وتوفير الرادع الذي يمنع المقت الشعبي من التحرك نحو تهديد سلطة الحاكم. الهادي العلوي، م.س، ص٢٨٦.

([١٠٥])الجوذري، م.س، ص٦٣. ولعله ما دفع ابن حوقل إلى وصف ساكنة افريقية بأنهم "خلاف على مر الأوقات..مخالفين أكثر أيامهم لسلطانهم".م.س، ص٧١-٧٢.ويرى أحد الباحثين أنه "لم يكن إلا في عهد الخليفة الرابع المعز أن حققت الدولة استقرارا كافياً وأمناً داخلياً مكنها من الانطلاق في سياسة الفتوحات".إسماعيل بونوالا، م.س، ص١٢٧

([١٠٦]) إدريس، زهر المعاني، ص٢٢٦.

"مشوبة بالتكدير"، وبالعمري[١٠٧]إلى القول بأن المنصور الفاطمي كان جهده بعد أن "أشغلته الفتن التي قامت بافريقية واستأصلت ...أن يرقع خروقه..وأن يزود عن حوضه"، ولعل في وصية القائم عند وفاته لخليفته من بعده عند تسليمه مقاليد الحكم بعبارة "مهد الله لك البلاد وجمع على طاعتك ومحبتك قلوب العباد"[١٠٨]، ما يؤكد على أن استقرار الأوضاع كان هدفاً بعيد المنال بالنسبة للفاطميين نتيجة كثرة المشاكل والمعيقات المتلاحقة[١٠٩]، فقد اشتكى المعز في أحدى رسائله "الانفراد في الديار الموحشة ..والبلد المشاقق بين كل عدو وفاسق"[١١٠]، كما أكد في إحدى مجالسه ما لاقاه أسلافه في حكم المغرب من"فساد أحوال الناس..وصعوبة سياستهم"[١١١]، بشكل أثر سلباً على استقرار الدولة، وأدى باستمرار إلى انتكاس الأوضاع، واستنفد جهوداً جبارة من الفاطميين، ودفعهم إلى صب جام غضبهم على الرعية واصفين إياهم بـــ"ذوي الفسوق والمروق"[١١٢] "الدهماء"[١١٣] "الغوغاء"[١١٤] "السفهاء"[١١٥] "الأشرار الخبثاء"[١١٦] "أوباش الناس"[١١٧] و"طغامهم"[١١٨] الأشبه بـــ"القردة والخنازير"[١١٩] و"البهائم منهم بالناس"[١٢٠]؛ "لسوء تمييزهم ولجهلهم"[١٢١]، لا همَّ لهم إلا "الغارة والفتنة...والفساد

---

([١٠٧]) العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٤٢٣ هـــ، ج٢٤، ص١٠١.

([١٠٨]) الجوذري، م.س، ص٤٤.

([١٠٩]) لاحظ كيف تسبب ذلك في إخفاء أخبار وفيات الخلفاء من قبل أبنائهم وحرمانهم من مراسيم جنائزية لائقة.ابن حماد، م.س، ص٧٧.

([١١٠]) الجوذري، م.س، ص٧٣.

([١١١]) ابن حيون، المسايرات، ص٥٠٧. وشبه المعز الرعية بـــ"الحنظل لو سقي العسل ما أثمر إلا مرا".نفسه، ص٢٨٩.

([١١٢]) إدريس، تاريخ، ص٤٧٦.

([١١٣])ابن حيون، افتتاح، ص٢٩٧.

([١١٤])إدريس، تاريخ، ص٢٦٦،

([١١٥])ابن حيون، افتتاح، ص٢٧٣.

([١١٦]) إدريس، تاريخ، ص٣٠٢

([١١٧]) ابن حيون، إتباع الأئمة، ص٣٣.

([١١٨])إدريس، تاريخ، ص ٢٧١

([١١٩]) الجوذري، م.س، ص٦٤.

([١٢٠]) ابن حيون، إتباع الأئمة، ص٣٣، ووصفهم القائم بـــ"الأنعام المجفلة والصور الممثلة والخشب المسندة والحمر المستنفرة".إدريس، تاريخ، ص٣١٠.

([١٢١]) ابن حيون، المسايرات، ص١٣٧.

والشغب..والنهب والفتنة"[١٢٢]، وإجابة "كل داع ناعق"[١٢٣].وعليه فقد كان طبيعياً أن تلجأ السلطة إلى إجراءات واحتياطات في مواجهة كل هؤلاء كان من أبرزها القوة والعنف والتفنن في "أصناف من القتل"[١٢٤].

**مظاهر العنف في سياسة الفاطميين:**

شكل العنف ظاهرة مشهودة في اجتياح أبي عبدالله الشيعي واكتساحه ربوع بلاد المغرب بغية القضاء على القوى السياسية القائمة والتأسيس لقيام الدولة الفاطمية، فأثناء تجوله في بلاد البربر"قتل الرجال وأخذ الأموال، وسبى الذرية، واحرق بعض المدن بالنار"[١٢٥]، وانبسطت خيله بمدينتي قسطيلية وتوزر و"أحرقت القرى وأفسدت ما مرت به من النعم"[١٢٦]، وما أن اقتحم مدينة سطيف حتى "قتل من وجوههم قتلاً ذريعاً وانتهب أموالهم وسبى نساءهم وذراريهم"[١٢٧]، وبعد دخوله كبونة ظل جيشه يقتل من أهلها طيلة يومين متتالين[١٢٨]، وتعرض سكان مدينة الاربس على يديه للإبادة الجماعية بعد أن دخلها "قهراً بالسيف"[١٢٩]وأطلق يد جنده فيها فـ"نهبوا البلد"[١٣٠]، وقتلوا من أهلها ثلاثين ألفاً، حيث ظل القتل فيهم قائماً من وقت صلاة العصر إلى آخر الليل[١٣١]، ولم يسلم من القتل حتى الذين احتموا بالجامع الكبير حيث قُتل منهم"فيه أكثر من ثلاثة آلاف"[١٣٢]، حتى "كانت الدماء تسيح من أبواب الجامع"[١٣٣]، واتبع الشيعي مع أهل بلزمة سياسة التجويع، حيث حاصرهم مدة طويلة "حتى انقطع الطعام من أيديهم...وأكلوا ما عندهم من الحيوان ثم أكلوا جلودها...إلى أن

---

([١٢٢])إدريس، تاريخ، ص٢٦٦، ٤٧١.

([١٢٣]) النويري، م.س، ج٢٨، ص٥٠.

([١٢٤]) ابن عذاري، م.س، ج١، ص١٦٥.

([١٢٥]) ابن عذاري، م.س، ج١، ص١٦٢.

([١٢٦]) ابن عذاري، م.س، ج١، ص١٤٥.

([١٢٧]) النويري، ج٢٨، ص٥٦.

([١٢٨]) ابن حيون، افتتاح، ص١٧١.

([١٢٩]) إدريس، تاريخ، ص١٣٣.

([١٣٠]) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت ، ١٩٩٧م، ج٦، ص٥٩٥.

([١٣١])ابن حيون، افتتاح، ص٢٣٢، إدريس، تاريخ، ص١٣٣؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ١٩٨٠م، ص٢٤.

([١٣٢]) ابن الأثير، م.س، ج٦، ص٥٩٥؛ الحميري، م.س، ص٢٤.

([١٣٣]) ياقوت الحموي، م.س، ج١، ص١٣٦.

غلب عليهم الجوع فاستأسروا"[١٣٤]، أما سجلماسة فقد نهب جنده دورها وجردوا الناس حتى من ملابسهم[١٣٥]، ولم تكن معاناة أهل تاهرت أقل حدة حيث أنه "انتهبها وانتهك حرمتها وأجلى كثيراً من أهلها وجعل أعزة أهلها أذلة..واهلك الحرث والنسل"[١٣٦]، ودخل أنصاره قلعة مجانة "فانتهبوا تلك المنازل"[١٣٧].مما يدحض زعم أحد الباحثين[١٣٨]بأن سياسة الأمان كانت ملازمة للقائد الشيعي أجراها على المناطق التي استولى عليها عبر مسار حركته من إيكجان وصولاً إلى القيروان، استناداً إلى نصوص شيعية قحة.

لم تجد سياسة الأمان انعكاساً لها في علاقة أبي عبدالله الشيعي بالرعية إلا في المرحلة الأولى من قيام الدولة الفاطمية بعد الاستيلاء على القيروان ورقادة، وهنا تصدق مقولة ابن خلدون[١٣٩]بأن الدولة تستند في طور التأسيس على قاعدة "جمع القلوب وتأليفها"، فنتيجة لحالة الفوضى التي أحدثها سقوط الأغالبة[١٤٠]، وقبل ترسيخ مؤسسات الدولة الجديدة، وإكمال مشروعاته في المغربين الأوسط والأقصى، وبوصفه منظماً ماهراً وسياسياً متمرساً[١٤١]، آثر أبو عبدالله الشيعي إتّباع سياسة معتدلة تتسم بالرفق والتسامح تجاه سكان افريقية، لا سيما المالكية منهم، الذين ترسخ مذهبهم بإحكام[١٤٢]، وامتلكوا تأثيراً قوياً على العامة[١٤٣]، ، فقد بالغ في إكرام فقهاء القيروان ووجوها وتجارها حين خرجوا لاستقباله[١٤٤]،

---

([١٣٤])ابن حيون، افتتاح، ص١٧٨–١٧٩.وعن ارتكاز حياة سكان المدينة على إنتاجهم الزراعي انظر ابن حوقل، م.س، ص٩١.

([١٣٥])اليماني، سيرة جعفر الحاجب، نشر ايفانوف، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة، م ٤، جـــ٢، ١٩٣٦م، ص١٢٦.

(١٣٦)الدرجيني، طبقات المشائخ بالمغرب، تحقيق إبراهيم طلاي، قسنطينة، ١٩٧٤، ص٩٤.

([١٣٧])ابن حيون، افتتاح، ص٢٠٨...

([١٣٨])هيصام موسى، التمكين للمذهب المالكي في المغرب الأدنى والأوسط بين القرنيين الرابع والسادس الهجريين، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، ٢٠١٣م، ج١، ص٢٠٩.

([١٣٩]) م.س، ج١، ص٢٦٦.

([١٤٠])ابن حيون، افتتاح، ص٢٣٦.

([١٤١])ابن حيون، افتتاح، ص٢٦٩، المقريزي، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا تحقيق جمال الدين الشيال، وزارة الأوقاف، مصر، ١٩٩٦م، ط٢، ١٩٩٦، ج١، ص٦٨.

([١٤٢]) بونوالا، م.س، ص١٢٧.

([١٤٣]) البرزلي، جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام ، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٢م ، ج٦، ص٣٧٤ ؛ Vonderheyden, M., *La Berbèrie orientale sous la dynastie des Benou-l- Aghlab 800-909* (Paris, 1927), p.31.

([١٤٤]) النويري، م.س، ج٢٨، ص٦٠

و"أمنهم في أنفسهم وأموالهم"[١٤٥]، "ووعدهم بالإحسان والعدل فيهم"[١٤٦]، والتزم التقشف[١٤٧]، وأمر بقطع المنكرات[١٤٨]، وحظر على جنده نهب رقادة والقيروان[١٤٩]، وأمرهم بالكف عن الغارات[١٥٠]، وغلَّ يدَ أخيه أبي العباس عن طرد المخالفين للمذهب الشيعي من القيروان[١٥١]، مروجاً أن دولته"دولة حجّة وبيان، وليست دولة قهر واستطالة"[١٥٢]، ولم يجبر أحداً على التشيع في كل مدن إفريقية[١٥٣]، مستخدماً الإقناع السلمي والاعتدال في نشر الدعوة[١٥٤]، ولم يشتط في سياسته الاقتصادية والتزم فيها بأحكام الشريعة[١٥٥]، مما تسبب في ميل القلوب نحوه، وسكون الأنفس إليه[١٥٦] ، لـــ"عدله ورفقه وحسن سياسته"[١٥٧].بيد أن حرصه أيضاً على تثبيت أركان دولته دفعه إلى إجراء أكثر عنفاً ممثلاً في استئصال القوة العسكرية التي كان يستند إليها الأغالبة فأمر "بقتل السودان من موالى بني الأغلب فقتلوا عن آخرهم وكبوا على مناخرهم"[١٥٨].

تم خرق تلك السياسة الاعتدالية من قبل أبي العباس الذي لم يكن على شاكلة أخيه في السياسة والدهاء، ولأنه كان "عجولاً...ضعيف العقل" [١٥٩]، فقد تسرع هو وقاضيه المروذي(ت٣٠٣هـــ/٩١٥م) في تدشين سياسة العنف ضد الرعية، ممثلةً في الإسراف في

---

(١٤٥) ابن حيون، افتتاح، ص٢٤٤.

(١٤٦) ابن عذاري، م.س، ج١، ص١٥٠ة .

(١٤٧) ابن حيون، افتتاح، ص٢٥١؛ إدريس، تاريخ، ص١٣٩.

(١٤٨) ابن حيون، افتتاح، ص٢٤٧.

(١٤٩) المقريزي، م.س، ج١، ص٦٣، ٦٤.

(١٥٠)ابن عذاري، م.س، ج١، ص١٤٥.

(١٥١)ابن عذاري، م.س، ج١، ص١٥١.

(١٥٢)النويري، م.س، ج ٢٨، ص٦١.

(١٥٣)المالكي، م.س، ج٢، ص٨٥-٨٦.

(١٥٤) Julien, Ch-A., *Histoire de l'Afrique du Nord des origines à 1830* (Paris,1952), p.54.

(١٥٥)محمود إسماعيل، "المالكية والشيعة بافريقية إبان قيام الدولة الفاطمية"، المجلة التاريخية المصرية، مج ٢٣، ١٩٧٦،ص٧٨.

(١٥٦)ابن حيون، افتتاح، ص١٨٥، ٢٤٤.

(١٥٧)ابن حيون، م.س، ص٢٥٧.

(١٥٨)ابن حماد، م.س، ص ص ٢٠- ٢١؛ ابن عذاري، م.س، جـــ١، ص ١٥٠.

(١٥٩)ابن عذاري، م.س، ج١، ص١٥٠.

فرض المغارم[١٦٠]، وإرغام الناس على التشيع[١٦١]، والإمعان في تصفية معارضيه بالقتل والصلب والتشهير والضرب بالسياط، وفور ورود تلك الأخبار إلى أبي عبدالله وهو بسجلماسة أَنَّبَهُ بشدة، واتهمه بإفساد العلاقات الطيبة مع أهل افريقية، وهو ما تحتاجه الدولة في بدايتها بقوة[١٦٢]

استنتج ثلةٌ من المؤرخين القدامى[١٦٣]أن إفراط الفاطميين في العنف والجنوح إلى الغلبة والقهر تجلت بعد أن أصبح قيام دولتهم في بلاد المغرب أمراً واقعياً، وهو ما تؤكده النصوص الدالة على ممارسة الفاطميين بعد تمكنهم العنف والإكراه والاستبداد وبأساليب متنوعة، حتى بات صفة لازمة للخلفاء ومن دار في فلكهم من المتنفذين، فقد جردت بعض المصادر المهدي من العدل[١٦٤]، لأنه "أهلك البلاد والعباد"[١٦٥]، واعتبرته"سافكاً للدماء[١٦٦]، ولقبته"بالسفاح"[١٦٧]، الذي كان سيفه"يقطر دماً"[١٦٨]، حتى"انقاد له الملك عنوة...وأطاعه الناس رهباً..وبايعه الخلق والسيف على عنق من أبى"[١٦٩]، وقتل"من العلماء والمحدثين والصالحين جماعة كثيرة وكان قصده إعدامهم من الوجود"[١٧٠]، ودارت في عهده على الناس "دوائر من قتل وضرب..وأصناف العذاب"[١٧١]، كما أنه خلَّدَ آخرين"في المحابس مصفدين إلى أن فنوا عن آخرهم"[١٧٢].أما ساعده الأيمن أبو عبدالله الشيعي فقد وُصف على لسان خصومه

---

([١٦٠])اليماني، م.س، ص١٢٣.

([١٦١])المالكي، م.س، ج٢، ص٢٦٥، ابن عذاري، م.س، ج١، ص١٥١-١٥٢.

([١٦٢])ابن عذاري، م.س، ج١، ص١٥٥.

([١٦٣]) ابن عبد الجبار، م.س، ج١، ص١٣٠، القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق محمد سالم هاشم دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨ م، ج٢، ص٢٩، ابن عذاري، م.س، ج١، ص٢٨٣، الذهبي، أعلام النبلاء، ج١٥، ص١٥١.

([١٦٤])البكري، م.س، ص٩٥.

([١٦٥])الذهبي، أعلام النبلاء، ج١٥، ص١٤٣.

([١٦٦])المالكي، م.س، ج٢، ص٣٤٣.

([١٦٧])العمري، م.س، ج٢٤، ص٩٦.

([١٦٨])المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج١، ص٧٢.

([١٦٩])العمري، م.س، ج٢٤، ص٩٨-٩٩؛ أبو شامة، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، وضع حواشيه وعلق عليه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢، ج٢، ص١٤٢.

([١٧٠])أبو شامة، م.س، ج٢، ص١٣٩؛ الذهبي، تاريخ ، ج١٢، ص٣٦٩.

([١٧١])الخشني، طبقات علماء افريقية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د.ت ، ص ٢٣٢، ٢٣٣.

([١٧٢])ابن حيون، افتتاح الدعوة، ص٣٢٩.

بـــ"مستحل دماء المسلمين بغير حقها المبيح للفروج...الآكل أموالهم مستلباً لها"[١٧٣]، حتى كان التنكيل به على يد المهدي عقاباً إلهياً على ما اقترفته يداه من القتل وسفك الدماء حسب ابن عذاري[١٧٤]، وهو ما ينسحب على القائم الذي وصف بأنه "سافك للدماء ...أباد عدة من العلماء"[١٧٥]، واشتهر المنصور بلقب "السلاخ" لأنه كان يبالغ في الانتقام ممن يثور ضده بسلخ جلودهم وهم أحياء ويحشو أجسادهم قطناً ثم يصلبون[١٧٦]، ووصفت المصادر المعز بأنه "عظيم الجبروتية"[١٧٧]، قد "ذلل العصاة"[١٧٨]، حتى أنه أوصى خليفته على المغرب يوسف بن بلكين بألا يرفع السيف عن البربر[١٧٩].

امتدت صورة العنف وسياسة الاستبداد التي رسمتها المصادر لتشمل الولاة والمتنفذين[١٨٠]، فمنهم من كان "سريع الغضب والضرب بالسوط"[١٨١]، ومن كان "جباراً متعسفاً"[١٨٢]، ومن"تصلب وتكبر وتجبر"[١٨٣]، وكان يعاقب على أقل الهفوات بـــ"سفك الدماء"[١٨٤]، امتدت يده إلى"أموال الأحباس والحصون"[١٨٥]، ومن"لم يكن يحب أن يرى على ظهر الأرض أحداً إلا واقعاً تحت أمره ونهيه ومن تحت يده"[١٨٦]، ومن كان يجبر الهاربين على تسليم أنفسهم بإلقاء القبض على أهليهم وذويهم[١٨٧]، ومن "بسط يده على الناس

---

([١٧٣])ابن حيون، م.س، ص ص ١٨٦ ، ١٩٥.

([١٧٤])ابن عذاري، م.س، ج١، ص ، ٢٨٣.

([١٧٥])الذهبي، أعلام النبلاء، ج١٥، ص١٥٣، ١٥٥، العمري، م.س، ج٢٤، ص٩٩.

([١٧٦])ابن حماد، م.س، ص٦٥-٦٦.

([١٧٧])ابن الخطيب، م.س، ص٥٥، ٦١.

([١٧٨])الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٨، ص٢٤٧

([١٧٩])المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج١، ص١٠٣.

([١٨٠])ابن أبي زيد القيرواني، الفتاوى، جمع وتحقيق وترتيب حميد لحمر، دار اللطائف للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٢م، ج١، ، ص٣٥٣-٣٥٤.

([١٨١])ابن عذاري، م.س، ج١، ص١٩١.

([١٨٢])اللبيدي، م.س، ص٧١.

([١٨٣])الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق، إبراهيم شبوح وآخرين، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٦٨، ج٢، ص٢٩١.

([١٨٤])المالكي، م.س، ج٢، ص١٥٥.

([١٨٥])المالكي، م.س، ج٢، ص٥٦.

([١٨٦])ابن حيون، افتتاح، ص ٤٠٣.

([١٨٧])المالكي، م.س، ج٢، ، ٢٢٦

و..واستعمل التجني على أهل الستر"[١٨٨]، وهو ما كان مدعوماً من السلطة ذاتها، حتى أنها عمدت إلى عزل الولاة والقضاة الذين عُرفوا باللين والمهادنة والاستقامة والورع والتمسك بنواميس العدل، لتستبدلهم بآخرين اشتهروا بالقسوة والعنف والرشوة والاعتداء على الأموال[١٨٩].أما الجنود فكان لههم "عنف وسلطنة"[١٩٠]، تمثل في ضرب الناس بالسياط أثناء مرورهم بالطرقات[١٩١]، وتقريعهم بالسب والشتم[١٩٢]، والاحتيال في نهب أموالهم[١٩٣].وبالجملة عانت الرعية في عصر الفاطميين من سوء العذاب[١٩٤]، والبلاء العظيم[١٩٥]، "قتلاً ونفياً وتشريداً"[١٩٦]، "وسبياً وإحراقاً"[١٩٧]، وعاش أهل السنة في حالة شديدة من "الاهتضام والتستر .. كأنهم ذمة... تجري عليهم في كثرة الأيام محن شديدة"[١٩٨]، وهو ما دفع الدباغ[١٩٩]إلى تسمية ذلك العصر بعصر الشهداء، وحدا بالعالم المالكي محمد بن سعدون(ت٤٨٦هـ/١٠٩٣م) لتخصيص مؤلَّفَيْن كاملين عن مظاهر تلك المحن وأشكالها[٢٠٠]، كما ألف أبو العرب تميم "كتاب المحن" ليتلمس من خلاله أبناء عصره المقهورين الأسوة

---

([١٨٨]) الجوذري، م.س، ص١١٤.

([١٨٩]) ابن عذاري، م.س، ج١، ص١٨٨، ١٨٩.

([١٩٠]) المالكي، م.س، ج٢، ص٣٨١.

([١٩١]) البيبدي، م.س، ص٣٥، المالكي، م.س، ج٢، ص٢١٩؛ الدباغ، م.س، ج٢، ص٢٧٤.

([١٩٢]) المالكي، م.س، ج٢، ص٣٨١.

([١٩٣]) الجوذري، م.س، ص٤٣، ٦٢.

([١٩٤]) ابن عذاري، م.س، ج١، ص٢٨٤، اللبيدي، م.س، ص٦٤.

([١٩٥]) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٧، ص٣٣٣.

([١٩٦])السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٧ م، ج١، ص٤٨٠؛ الدباغ، م.س، ج٢، ص٢٩٢.

([١٩٧]) مؤلف مجهول، ذكر بلاد افريقية وحدودها، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية تحت رقم ٨٠ جغرافيا غير مفهرس ، ورقة ١١.

([١٩٨]) عياض، م.س، ج٢، ص٢٩.

([١٩٩]) الدباغ، م.س، ج٢، ص٢٦٩. ثم تابع محمود إسماعيل، "محنة المالكية في افريقية المغربية"، ضمن كتابه، مغربيات، مطبعة فضالة، فاس، ١٩٧٧، ص ص٥٧-٨٣.

([٢٠٠]) عنون الأول بـ" ذم بني عبيد الله وأفعالهم القبيحة" ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، ط مصر ١٣٥١هـ، جـ٢، ص ٢٣٩ ، وخصص الثاني لـ " تعزية أهل القيروان بما جري علي البلدان من هيجان الفتن وتقلب الأزمان".ابن عذاري، م.س، جـ١، ٢٨١؛ الدباغ، م.س، ج٣، ص١٩٨، ، البرزلي، م.س، ج٦، ص ٢٧٢، ٤١٧، ٤٤٧.

والعزاء[٢٠١]، وأفرد أبن أبي زيد القيرواني في كتابه "الجامع" باباً للحديث عن "الفتن وفساد الزمان..وذكر بعض من امتحن في ذلك وتحليل الظالم"[٢٠٢]، كما تعالت أصوات أهل الحكمة تشكو "سوء حال الرعية وما نزل بهم من ظلم"[٢٠٣].ورغم أن غالبية تلك النصوص قد غلفتها قناعات مذهبية متحاملة على الفاطميين[٢٠٤]، إلا أن زخماً من القرائن تسمح بتأكيدها.

إن إخضاع عينات من النصوص المصدرية للفحص تثبت وضعاً مأساوياً آلت إليه أوضاع كل من أعلن العصيان والتمرد والخروج عن الطاعة[٢٠٥]، تنوعت من خلاله أشكال الاستئصال، والإبادة الجماعية، والسبي، والحرق، والتدمير، وإتلاف المحاصيل الزراعية، وتخريب المدن، ونهب الممتلكات، وبعيداً عن تفاصيل هذه الأفعال وظروفها وتواريخها، وأسماء الأشخاص الذين تمت على أيديهم، نسجل عبارات أوردتها المصادر للتأكيد على هذا العنف المشوب بالقسوة البالغة، من قبيل:"كلما دخل مدينة قتل أهلها وأخذ أموالهم وعاث فيهم"[٢٠٦]"قتل منهم قتلاً كثيرا"[٢٠٧]، و"قتلهم أجمعين"[٢٠٨]، و"قتل منهم خلقاً كثيرا"[٢٠٩]، و"قبض عليهم فقتلوا على باب رقادة، ثم تتبع من بقي منهم فقتلهم"[٢١٠]، و"قتل الذين عقدوا الخلاف بها من أكابرها واستصفى أموالهم"[٢١١]، و"قتلوا الرجال، وسبوا النساء،

---

([٢٠١]) أبو العرب تميم، كتاب المحن ، تحقيق يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٣، ٢٠٠٦، ص٦٢.علماً بأن كلمة "المحن" لا تتعلق بمجرد "سوء معاملة" لكنه النكال الأشد قسوة، والخوف الدائم المرافق لأنواع الفظائع وألوان التعذيب.محمد رجالة، "ابن خلدون ومسألة التعذيب والقتل"، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن طفيل بالقنيطرة ، لمغرب،ع ٢٠٠٨،٨م، ص١٠٩.

([٢٠٢]) انظر، كتابه الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ، تحقيق محمد أبو الأجفان وعثمان بطيخ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣، ص ١٥٣-١٥٩.

([٢٠٣]) الخشني، م.س، ص٢٣٢؛ ابن عذاري، م.س، ج١، ص١٦٦.

([٢٠٤]) نستأنس هنا بمقولة جاستون بوتول"أن أقوى الأحكام حجة فيما صدر منها على سير أعمال الدولة تلك التي صيغت متناولة عمل العنف فيها".سوسيولوجيا السياسة، ترجمة نسيم نصر، منشور عويدات، بيروت، ١٩٨٠م، ص١٨٥.

([٢٠٥]) بل كان مجرد التفكير في ذلك والهم به يواجه بعنف شديد.انظر ابن عذاري، م.س، ج١، ص١٦٩.

([٢٠٦]) ابن عذاري، م.س، ج١، ص١٧٠.

([٢٠٧])إدريس، تاريخ، ص١٨٠.

([٢٠٨])إدريس، م.س، ص١٨٠

([٢٠٩]) النويري، ج٢٨، ص٦٨، ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط، دار المنصور للطباعة، ١٩٧٢، ص١٠٠.

([٢١٠]) النويري، م.س، ج٢٨، ص٦٨.

([٢١١]) ابن حيون، افتتاح، ص٣٢٦.

والذرية..وحرقوا المدينة بالنار، وبلغ عدد القتلى بها ثمانية آلاف رجل"[٢١٢]، "ونهب وأحرق"[٢١٣]، و"قتل أهلها وسبي نساءها"[٢١٤]، "ونـــهب المدينة وسبا أهلها وهـــدم أسوارها وكان الحـــادث بها عظيماً"[٢١٥]، و"أمر بحريقها ونهبها"[٢١٦]، و"أحرق... أخصاصاً كثيرة..وسبى نساءهم وذراريهم وأخذ من الخيل والجمال وصنوف الحيوان ما يفوت الإحصاء ويستغرق الإقصاء"[٢١٧]، و"استباح النساء والعجائز والأطفال"[٢١٨]، و"قتل بها ثلاثة آلاف رجل"[٢١٩]، و"نزل في العساكر على بلد بلد فيستصفي أمواله، ويهدم حصونه وقلاعه، ويأخذ ما فيه من الأسلحة والأمتعة، ويقتل الرؤساء والوجوه والفقهاء وأصحاب الحديث...ويضع المكوس والضرائب ويتوصل إلى إزالة النعم"[٢٢٠]، و"غلب الأولياء على الحصن وفتحوه عنوة وقتلوا أهله وانتهبوا ما فيه ..وأمر أمير المؤمنين بقطع نخيلهم وأشجارهم"[٢٢١].ولعل في صدور بعض هذه النصوص من مصادر إسماعيلية ما يعطيها نوعاً من المصداقية، ويبرز الوجه الحقيقي للسلطة ، ويؤكد أن مثل هذه الأعمال الوحشية لصيقة بتعاملها مع معارضيها، وإشعارهم دوماً بالجدية وعدم التساهل.

اعتبرت السلطة الفاطمية توجيه النقد لها، أو الترويج لإخفاقها السياسي من الجرائم الموجهة بشكل مباشر إلى كيانها، لما قد يسببه من إثارة للعامة[٢٢٢]، بـــ"شتر هذه الدولة الزاهرة وإدخال العيب فيها"[٢٢٣]، وهو ما استوجب مواجهته بالردع والعقاب الشديد، فقد كان الدافع وراء تنكيل أبي العباس الشيعي بالفقيهين ابن البرذون وابن هذيل عام ٢٩٧هـ/٩١٠م

---

([٢١٢]) ابن عذاري، م.س، ج١، ص١٦٦.

([٢١٣]) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج١، ص٩٤.

([٢١٤]) البكري، م.س، ص١٥٥، ثم تابع إشارة عند ابن زرع، م.س، ص٩٩ .

([٢١٥]) ابن ابي زرع، م.س، ص٩٠، الشطيبي، الجمان في أخبار الزمان ، مخطوط بالهيئة المصرية العامة للكتاب، تحت رقم ١٤١٦ تاريخ ، ١٤١٩٧ ميكروفيلم ، ورقة ٢٠٩ .

([٢١٦]) إدريس، تاريخ، ص٤٧١-٤٧٢.

([٢١٧]) ابن حماد، م.س، ص٧٢.

([٢١٨]) مؤلف مجهول، ذكر بلاد افريقية ، ورقة ٢٣ .

([٢١٩]) ابن ابي زرع، م.س، ص٩٩.

([٢٢٠]) ابن عبد الجبار، م.س، ج٢، ص٥٩٩.

([٢٢١]) إدريس، تاريخ، ص٤٧٤.

([٢٢٢])عياض، م.س، ج٢، ص٧٤ .

([٢٢٣])ابن عذاري، م.س، ج١، ص٢٠٥.

بالجلد والقتل والصلب والتشهير "أنهما يطعنان في الدولة"[٢٢٤]، وتعرض عدد من المالكية للضرب والسجن على يد المروذي بسبب "القدح في الدولة"[٢٢٥]، وأمر المهدي عامله ابن أبي خنزير بقتل المتعبد إبراهيم الدمني عام ٣٠٥ه/٩١٨مـ لأنه يـ"طعن في الدولة"[٢٢٦]، ودارت في عام ٣٠٨هـ/٩٢١م المحنة على رجلين زاهدين بالمهدية حيث"ضربا ثم قتلا ثم صلبا لكلام حفظ عليهما في السلطان"[٢٢٧]، وفي عام ٣٠٩ه/٩٢٢مـ أمر المهدي بقتل العابد محمد بن عبدالله السدري لما شاع عنه من الطعن في بني عبيد وهو ما اعتبرته الدولةـ"استخفافاً بالسلطنة"[٢٢٨]وتعرض الفقيه محمد بن العباس الهذلي للضرب عام ٣١٠ه/٩٢٣مـ "بالدرة في الجامع عرياناً، وصُفع على قفاه حتى جرى الدم من رأسه، وبرّح عليه في أسواق القيروان إذ شهد عليه قوم من المشارقة بأنه يطعن على السلطان"[٢٢٩]، وبالمثل تعرض أحد خدم المساجد للقتل لأنه "طعن على المهدي"[٢٣٠]، وعاقبت السلطة الزاهد الحسن بن محمد القلانسي(ت٣٢٨هـ/٩٤٠م)بالسجن وغرمته خمسين ديناراً لأنه"شُهد عليه أنه قذف السلطان"[٢٣١]، كما تعرض الفقيه أبو العرب تميم(ت٣٣٣هـ/٩٤٥م) للمحنة بالحبس والتقييد هو وابنه بسبب "التهمة في السلطان"[٢٣٢]، وهكذا باتت تهمة الطعن في السلطة والتخابر مع أعدائها وسيلة ناجعة يتم الاحتيال من خلالها للتخلص من الخصوم[٢٣٣]

بالموازاة، ازداد عنف السلطة الفاطمية تجاه أولئك الذين يجعلون مشروعية حكمها في أزمة[٢٣٤]، من خلال التعرض للأصول الأساسية والمبادئ الأولية التي تستمد منها سلطاتها،

---

([٢٢٤]) ابن عذاري، م.س، ج١، ١٥٥.

([٢٢٥]) الدباغ، م.س، ج٣، ص١١.

([٢٢٦]) المالكي، م.س، ج٢، ص١٣٩..

([٢٢٧]) الخشني، م.س، ص٢٣٠.

([٢٢٨]) المالكي، م.س، ج٢، ص١٧٣..

([٢٢٩]) ابن عذاري، م.س، ج١، ص١٨٨؛ المالكي، م.س، ج٢، ص٢٦٥.

([٢٣٠]) ابن عذاري، م.س، ج١، ٢٨٤.

([٢٣١]) المالكي، م.س، ج٢، ص٢٦٤..

([٢٣٢]) عياض، م.س، ج٢، ص٤١.

([٢٣٣]) المالكي، م.س، ج٢، ص١٨٤...

([٢٣٤]) اقترنت المشروعية وقتئذ بتطبيق الشريعة لأن الهدف من إقامة معالم الشريعة هو دوام الملك وتوسيع النفوذ.العروي، م.س، ص١٤٣.

واتهامها باللاشرعية والمطالبة بإلغائها أو استبدالها[٢٣٥]، وهو ما نجد له صدى في الإجراءات الدموية التي نفذها المهدي ضد المعارضة الداخلية الصامته؛ممثلة في أبي عبدالله الشيعي ومن وافقه ممن تسرب إلى نفوسهم الشك في إمامته وطعنوا في عصمته وجدارته بالزعامة[٢٣٦]، فمنهم من"قُتل صبراً وبعث برأسه إلى الإمام"[٢٣٧]"وقُتل جماعة منهم .. بصنوف من القتل"[٢٣٨]، ثم تبع ذلك بإجراءات احترازية، حيث تم حرمان كتامة من اعتلاء المناصب الحساسة عسكرية كانت أم مدنية[٢٣٩]، وتم إسنادها إلى مرتزقة من الصقالبة[٢٤٠]، استخدموا في عملية تطهيرية وتصفية جماعية لكل من كان يميل إلى هؤلاء المتشككين[٢٤١]، ويبدو أنها كانت شمولية بشكل دفع الداعي إدريس[٢٤٢]إلى التعليق عليها بقوله:"فرق الله الظالمين، وقطع شأفة المنافقين، وأذل المفسدين، ومكن عبده ووليه المهدي"، وحسب ابن حماد[٢٤٣] "خلص لعبيدالله الأمر وصفا له الملك".لقد كان الفتك بهؤلاء المتشككين رغم قربهم للسلطة إشعار لغيرهم من الرعية بعدم التساهل معهم حال المساس بمشروعيتها قبل الطعن فيها.

تمثل الإيديولوجيا ركيزةً كبرى تبرر بها السلطة ممارساتها السياسية والاقتصادية والثقافية والأمنية، وتدافع بها عن كيانها وبقائها واستمرارها[٢٤٤]، وتسعى من خلالها لبسط

---

([٢٣٥]) محمد حلمي عبد الوهاب، ولاة وأولياء السلطة والمتصوفة في إسلام العصر الوسيط، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ٢٠٠٩م، ص١٨٩.

([٢٣٦]) ابن حيون، افتتاح، ص٣١٠، مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد، ط. الدار البيضاء، ١٩٨٥م، ص٢٠٥؛ إدريس، تاريخ، ص١٨٣. ابن عذاري، م.س، ج١، ص١٦١.يُلاحظ أن هذا الرفض لم يُفرز إنتاجاً فكرياً متنوعاً مثلما حدث في المشرق مع القرامطة.انظر بوبة مجاني، "المدرسة الفكرية الإسماعيلية في المرحلة المغربية"، حولية التاريخ الإسلامي الوسيط، قسم التاريخ بآداب عين شمس، مصر العربية للنشر والتوزيع، م١، ص١٤.

([٢٣٧]) إدريس، تاريخ، ص١٨٦.

([٢٣٨]) ابن حيون، افتتاح، ص٣١٥.

([٢٣٩]) محمود إسماعيل، "المالكية"، ص٧٩.

([٢٤٠]) الجوذري، م.س، ص١٤.ونتيجة تفانيهم في الخدمة أجاز الفاطميون توريث العبيد الصقالبة الداخلين في دعوتهم كما يورث الأحرار.ابن حيون، المسايرات، ص٣٩٤.

([٢٤١]) ابن عذاري، م.س، ج١، ص١٦٧، ابن حماد، م.س، ص٤٣، ابن الأثير، م.س، ج٦، ص٦٠٠-٦٠١.

([٢٤٢]) إدريس، تاريخ، ص١٨٩.

([٢٤٣]) م.س، ص٤٣.

([٢٤٤]) محمد سيبلا، الأيدلوجية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٢، ص٥٧.

مزيد من الهيمنة والسطوة على المجتمع وإخضاعه لنهجها[٢٤٥]، وتسليط الرقابة المفرطة على الأفراد وتأطيرهم في بوتقة نفوذ الدولة، وتعميق الولاء لها، وإعادة إنتاج الايديولوجيا الرسمية حول شرعيتها[٢٤٦]، وهو ما يدفعها لمعاقبة المنحرفين بحرمانهم من المشاركة المجتمعية، وربما يصل الأمر إلى السجن أو التصفية الجسدية[٢٤٧].وهكذا اعتبر ابن خلدون[٢٤٨] أن الدعوة الدينية كانت بالنسبة للخليفة الفاطمي"شيء من سلطانه تسليماً لعصبيته وانقياداً لما استحكم له ولقومه من صبغة الغلب في العالم، وعقيدة إيمانية استقرت في الإذعان لهم، فلو راموها معه أو دونه لزلزلت الأرض زلازلها".

لقد ظل الفكر الإسماعيلي محدوداً في بلاد المغرب نتيجة طبيعته الفلسفية الملغزة[٢٤٩]، واعتماده طريقة التأويل ذي الجنوح الباطني[٢٥٠]، الذي لم يتناسب وبساطة تفكير البربر؛فتم اجتذابهم عن طريق الخرافة والسحر والشعوذة[٢٥١]، إلا أن ذلك لم يحل دون إمعان الفاطميين في فرض التشيع بالقوة[٢٥٢]، وتشكيل أطر فكرية ترسخ الولاء لمذهب الدولة، وتنسخ ما عداها من المذاهب[٢٥٣]، وفقاً لمكنون النظرية الإسماعيلية[٢٥٤]، فمع دخول المهدي إلى

---

([٢٤٥]) برهان غليون، "ملاحظات حول الدولة في المجتمعات النامية– آليات السيطرة والعنف"، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي، ع ١٤ ،١٥، ١٩٨١، ص٤١.

([٢٤٦]) حسن علوض، "عن العنف والاستبداد –مقاربة نقدية للمفاهيم والدلالات في ظل تحولات الحراك العربي"، مجلة الكلمة، قبرص، مج٢٠، ع٨١، ٢٠١٣، ص١٤٨، ثم تابع محمود إسماعيل، "أثر الايدولوجيا في صياغة بعض مصطلحات الفرق الإسلامية"، ضمن كتابه دراسات في الفكر والتاريخ الإسلامي، سينا للنشر، ، القاهرة، ١٩٩٤، ص٩٣–١١٤.

([٢٤٧]) القلموني، م.س، ص٣٠.

([٢٤٨]) المقدمة، ج١، ص٢٦٤.

([٢٤٩]) المعز الفاطمي، م.س، ورقة ٧٦، ١٠٦، محمود إسماعيل، "المالكية"، ص٧٧.

([٢٥٠]) المعز الفاطمي، م.س، ورقة٧–٨، ٦٧، ١٠٦؛ إدريس، تاريخ، ص٨٨–٨٩، ثم تابع تفصيلاً للمسألة عند، الحبيب الفقهي، التأويل أسسه ومعانيه في المذهب الإسماعيلي، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، الجامعة التونسية، تونس، د.ت، السيد محمد عبد الرحمن، "التأويل وأبعاده العقائدية والفلسفية عن المعز لدين الله الفاطمي"، مجلة كلية الآداب، جامعة حلوان، ع٥، يناير ١٩٩٩، ص ص ١٦١–٢٠٥.

([٢٥١]) ابن الأثير، م.س، ج٦، ص٥٨٥.

([٢٥٢]) على الأقل في شكليته التعبدية والشعائرية وصيغته الفقهية.المالكي، م.س، ج٢، ص٢٦٥، ابن عذاري، م.س، ج١، ص١٨٩؛ الحميري، م.س، ص٣٠٧؛ ابن خلدون، العبر، ج٦، ص١٢٢؛ ابن ابي زرع، م.س، ص٩٨.

([٢٥٣]) إدريس، تاريخ، ص٢٢٧؛ عارف تامر، القائم والمنصور الفاطميان أمام ثورة الخوارج، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٢م، ص٢٠–٢١؛ محمد طه الحاجري، مرحلة التشيع في بلاد المغرب العربي وأثرها في

افريقية أجلس الدعاة "وأحضروا الناس بالعنف والشدة"[٢٥٥]، "ودعوهم إلى مذهبهم وقتل من لم يوافق"[٢٥٦]، وحسب شهادة الفقيه أبي الحسن القابسي كان عدد من قتلوا من العلماء والعباد الذين رفضوا التشيع "أربعة آلاف رجل"[٢٥٧]، وتم الترويج لفكرة الحلول[٢٥٨]، وإجبار الرعية على تغيير بعض الشعائر بما يتناسب والمذهب الإسماعيلي[٢٥٩]، بل تمادى بعض الدعاة بإطلاق دعوات إباحية وصلت إلى حد الكفر[٢٦٠]، وتلازمت تلك "الايدولوجيا المغلقة"مع أشكال من القمع والتنكيل لحذف المختلف[٢٦١]، ففي عام (٣٠٨هـ/٩٢١م) قبُض على الفقيهين المالكيين عبدالله الغيمي وأبو عبدالله الصدري و"قتلا لذمهما التشيع"[٢٦٢]، وأمر المهدي عام ٣٠٩هـ/٩٢٢م بالموثق حسن بن مفرج والزاهد محمد بن إبراهيم الشذوني"فُضربا بالسوط، وقُتلا بالرماح بالمهدية"[٢٦٣]بعد أن "رُفع عليهما إليه بتفضيل بعض

---

الحياة الدينية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٣، ص١٨، Terrasse,H, *History of Morocco*,Casablanca,1952.p.63. ثم تابع تفصيلاً عند موسى لقبال، "وحدة الخلافة الإسلامية تحت راية الفاطميين، هدف الإستراتيجية الإسماعيلية تجاه العباسيين"، مجلة تاريخ وحضارة المغرب، جمعية التاريخ الجزائرية، عدد١٢، ١٩٧٤ م، ص٧ وما بعدها.

(٢٥٤) ايفان هربك، "بروز الدولة الفاطمية"، مقال ضمن كتاب تاريخ إفريقيا العام، م٣، اليونسكو، ط٢، ١٩٩٧، ص٣٦٣.

(٢٥٥) ابن الأثير ، م.س، ج٦، ص٥٩٨؛ ابن خلدون، تاريخه، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨، ج٦، ص١٢٢.

(٢٥٦) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج١، ص٦٦

(٢٥٧) الذهبي، العبر في خبر من غبر، تحقيق محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج٢، ص١٧

(٢٥٨) ابن عذاري، م.س، ج١، ص١٦٠.

(٢٥٩) ابن حماد، م.س، ص٥٠، مجهول، الاستبصار، ص٢٠٥؛ التجاني، الرحلة، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، طرابلس، ليبيا، (د.ت)، ص٢٠٨، ٢٦٦.

(٢٦٠) ابن حيون، إتباع الأئمة، ص٥١؛ الجوذري، م.س، ص٥٧، المالكي، م.س، ج٢، ص٣٣٨، ٥٠٤؛ ابن عبد الجبار، م.س، ج١، ص٣٩١؛ ابن عذاري، م.س، ج١، ص٢٦٠، ٢٨٣؛ الذهبي، النبلاء، ج١٥، ص١٥٤. ويبدو أنها هيجت العامة بشكل دفع المهدي إلى التضحية ببعض هؤلاء الدعاة وقتلهم علناً لإعادة الأمن واسترضاء الرعية.ابن عبد الجبار، م.س، ج١، ص١٦٤.

(٢٦١) انظر بخصوص ذلك ، صلاح الجابري، حفريات في الاستبداد، معهد الأبحاث والتنمية الحضارية، بيروت، ٢٠١٠، ص١٢٥.

(٢٦٢) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج٧، ص١٣٥.

(٢٦٣) أبو العرب تميم، م.س، ص٢٣٥.

الصحابة على علي[٢٦٤]، وتعرض ابن اللباد(ت٣٣٣هـ/٩٤٥م) للمحنة والسجن "لانتصابه للفتوى والسماع بخلاف مذهب أمير المؤمنين"[٢٦٥]، وصدرت الأوامر بمنع تدريس المذهب المالكي[٢٦٦] ومصادرة كتب المالكية وإعدامها[٢٦٧]وهو ما تسبب في تعرض الفقيه ابن العباس الهذلي لمحنة شديدة عام ٣١٠هـ/٩٢٣هـ حيث تم تجريده من ملابسه، والتشهير به في أسواق القيروان، وضربه ضرباً شديداً لأنه كان "يفتي بقول مالك"[٢٦٨].كما تم بث عناصر من السودان مسلحين بالحراب لمراقبة المؤذنين وقتل كل من لم يُدرج عبارة "حي على خير العمل"[٢٦٩]ضمن آذانه[٢٧٠]، وتجريد العيون والجواسيس لرصد تجمعات الفقهاء وتتبع تحركاتهم ومراقبة التفكير المخالف للإسماعيلية[٢٧١]، وحين تجرأ أبو إسحاق الزبيدي الإفريقي المعروف بالقلانسي(ت٣٥٧ه/٩٦٨م) على تأليف كتاب في "الإمامة والردّ على الرافضة"، تعرض للتنكيل على يد القائم، حيث "ضربه سبع مائة سوط وحبسه أربعة عشر شهرًا بسبب هذا التصنيف"[٢٧٢].

جعلت السلطة من جسد المعاقَب مجالاً مفتوحاً لتنفيذ الأحكام، وعرضةً سهلة لكل اعتداء، وهدفاً للتحقير والتدمير[٢٧٣]، فيما يعرف بـــــ"التوظيف السياسي

---

([٢٦٤]) ابن عذاري، م.س، ج١، ص١٨٧.

([٢٦٥]) عياض، م.س، ج٢، ص٢٤.

([٢٦٦]) المالكي، م.س، ج٢، ص٢٧٢؛ عياض، م.س، ج٢، ص٤٣؛ الدباغ، م.س، ج٣، ص٦؛ إدريس، تاريخ، ص١٥٨.

([٢٦٧]) المالكي، م.س، ج٢، ص ٢٥٩، ٤٢٣.

([٢٦٨]) ابن عذاري، م.س، ج١، ص١٨٨؛ المالكي، م.س، ج٢، ص٢٦٥.

([٢٦٩]) اعتبر الفاطميون صيغة الآذان وحياً تلقاه الرسول الكريم خلال رحلة المعراج، مستنكرين ما ذهب إليه السنة أنه رؤيا لأحد الأنصار اقرها النبي وان عبارة "حي على خير العمل" كانت تتردد ضمن الآذان خلال عهدي الرسول وأبي بكر، إلى أن أسقطها عمر بن الخطاب.انظر ابن حيون، كتاب الإيضاح، تقديم وإعداد محمد كاظم رحمتي، منشورات مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٧م، ص٦٠-٦٣.

([٢٧٠]) الدباغ، م.س ، جـ٣، ص٧٧.

([٢٧١]) الخشني، م.س، ص٣٦، ص٢٣٠؛ المالكي، م.س، ج٢، ص٣٨، ١٠٣ ، ٢٥٨؛ عياض، م.س، ج١، ص٥١٦، ج٢، ص٧٤، ٧٥؛ الدباغ، م.س، ج٣، ص٨.

([٢٧٢]) الذهبي، تاريخ، ج٨، ص١١٢.وقد لقي الكتاب المذكور (وكان جزئين) منزلةً ورواجاً بين علماء المالكية يقول أبو العرب تميم ، " كتبت بيدي هذه ثلاثة آلاف كتاب وخمسمائة كتاب، فوالله الذي لا اله إلا هو لقراءة هذين الكتابين في هذا الموضوع أفضل عندي من جميع ما كتبت".نقلاً عن المالكي، م.س، ج٢ ، ص٣٠٦ ، ٣١٣ ، الدباغ، م.س، ج٣ ، ص٣٧ ــ٣٨.

([٢٧٣]) الهلالي، م.س، ص١٠١.

للجسد"[٢٧٤].فإمعاناً في بث الرعب وترسيخ الخوف، وتأكيداً لحضور السلطة الدائم، كانت عملية **قطع الرؤوس** وتعليقها على أبواب المدن وفي الساحات العامة هي التقنية الأكثر سيادة خلال العصر الوسيط[٢٧٥]، وقد لجأ الفاطميون بدورهم إلى هذه الوسيلة، خصوصاً مع الثوار والمتمردين، فحين دخل أبو عبدالله الشيعي تاهرت قتل من بني رستم "عدداً كثيراً وبعث برؤوسهم إلى أخيه أبي العباس وطيف بها في القيروان ونصبت على باب رقادة"[٢٧٦]، ولما اخمد ثورة زناتة بطبنة عام ٢٩٧هـ/٩١٠م أرسل إلى المهدي مع رسالة الفتح "برؤوس من قتل ..من وجوه زناتة وغيرهم"[٢٧٧]، ونجح القائد تمام بن معارك الأجاني في القضاء على ثورة هوارة بطرابلس ٢٩٨هـ/٩١١م "وبعث برؤوس كثيرة وآذان مفرطة لمن قتل فنصبت برقادة"[٢٧٨]، وهو المصير ذاته الذي حل ببقايا بني الأغلب الذين ثاروا ضد المهدي بعد قتل أبي عبدالله الشيعي حيث "قبض عليهم فقتلوا صبراً على باب رقادة وجعلت رؤوسهم عليه"[٢٧٩]، وحين اكتشف المهدي تآمر قائده حباسة بن يوسف ضده عام ٣٠٢هـ/٩١٥م أمر بالقبض عليه وجميع قرابته "وقطعت رؤوسهم وكتبت أسماؤهم في بطائق وعلقت من آذانهم"[٢٨٠]، وبعد أن نجح مصالة بن حبوس في اقتحام مدينة نكور عام ٣٠٥هـ/٩١٨م "كتب بالفتح إلى عبيدالله وبعث إليه برأس سعيد بن صالح ورؤوس أصحابه، فطوفت بالقيروان"[٢٨١]، ولما قتل جنود الفاطميين الفقيه المالكي ربيع القطان عام ٣٣٣هـ/٩٤٤م"أخذوا رأسه .. فطيف برأسه"[٢٨٢]، وبعدما أقتحم المنصور الفاطمي حصن "ماواس" قرب تهودة عام ٣٦٣ه/٩٤٨م قتل أهله و"أمر بجز الرؤوس فزادت على ثلاثمائة،

---

([٢٧٤]) ميشيل فوكو، المراقبة والمعاقبة ولادة السجن، ترجمة علي مقلد، مركز الإنماء القومي، بيروت، ١٩٩٠م، ص٦٥.

([٢٧٥]) الحسين بولقطيب، "نظام العقوبات والسجن بالمغرب الوسيط، مساهمة في دراسة العقل التأديبي المغربي خلال العصر الوسيط"، مجلة فكر ونقد، ع٢٣، ١٩٩٩م، ، ص٤٦.ويبدو أن مشهد الرؤوس المقطوعة بات معتاداً حتى لدى أطفال المغرب عصر الفاطميين حتى أنهم كانوا يلعبون بها.ابن الأثير، م.س، ج٧، ص ١٤٨، المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج١، ص٨٤.

([٢٧٦]) الحميري، م.س، ص١٢٦.

([٢٧٧]) إدريس، تاريخ، ص١٧٩.

([٢٧٨]) ابن عذاري، ج١، ص١٦٣.

([٢٧٩]) ابن حيون، افتتاح، ص٣٢١.

([٢٨٠]) ابن عذاري، ج١، ص١٧٢.

([٢٨١]) ابن عذاري، م.س، ج١، ص١٧٥؛ البكري، م.س، ص٩٦.

([٢٨٢]) عياض، مدارك، ج٢، ص٣٨؛ الدباغ، م.س، ج٢، ص٣٥.

وبعث بها إلى المنصورية والى المهدية"[٢٨٣]، وبعد قضائه على ثورة أبي يزيد النكاري أمعن المنصور في التشهير برؤوس المشاركين في الثورة، فقد أمر بعد انتصاره بجمع عدد كبير من أتباع أبي يزيد و"بقطع الرؤوس فقطع منها ما يعجز الوصف ويخرج عن الحد والنعت"[٢٨٤]، و"طوفت الرؤوس بالقيروان"[٢٨٥]، كما "طيف بالقيروان برأس الفضل بن أبي يزيد"[٢٨٦].وهكذا أضفى الفاطميون على تلك التقنية طابعاً احتفالياً للامعان في ترسيخ هيبة السلطة وقوتها، وبث الرعب عند كل من تسول له نفسه التمرد والعصيان[٢٨٧]، ودون أدنى مراعاة لشروط الصحة العامة، إذا ما أخذنا في الاعتبار بقاء تلك الرؤوس معلقة لعدة أيام وربما في أجواء شديدة الحرارة، مما يتسبب معه انتشار الروائح الكريهة[٢٨٨].

لم تقتصر العقوبات الموجهة للجسد على عقوبة قطع الرأس –وما تحمله من دلالة القضاء على العقل المدبر للفتنة والمتحكم فيها[٢٨٩]–وإنما امتدت لتشمل أعضاءً أخرى كبتر الأذرع والسيقان وقطع الألسن والآذان، فقد عوقب ثوار هوارة بطرابلس ٢٩٨هـ/٩١١م بقطع آذانهم[٢٩٠]، وحين أعلن والي صقلية ابن قرهب عام ٣٠٣هـ/٩١٦م الخلاف على المهدي وتم القبض عليه وعلى ابنه وقاضيه ابن الخامي قبل هروبهم للأندلس، وجيء بهم مصفدين في الحديد أمر بهم المهدي "فضربوا بالسياط، وقطعت أيديهم وأرجلهم"[٢٩١]، وفي عام ٣٠٧هـ/٩٢٠م عوقب أحد المؤذنين ممن شهد عليه بعض الشيعة أنه أذن ولم يقل "حي على خير العمل" بأن"قُطع لسانه"[٢٩٢]، وفي عام ٣٠٩هـ/٩٢٢م تعرض سجان بأحد سجون

---

([٢٨٣]) إدريس، تاريخ، ص٤٧٤.

([٢٨٤]) الجوذري، م.س، ص٥٠.

([٢٨٥]) ابن حماد، م.س، ص٧٦.

([٢٨٦]) ابن حماد، سيرة بني عبيد، ص٧٩.

([٢٨٧]) أرسل المنصور الفاطمي عام ٣٣٦هـ بثلاثمائة رأس من رؤوس ثوار حصن "ماواس" وأمر بتعليقها على أبواب المنصورية والمهدية ومعها رسالة إلى عامله على المنصورية يقول فيها "وأمر أمير المؤمنين ...وبعث بروؤس مقدمي الفسقة ومذكوريهم وذوي التقدم منهم، وكتب أسماءهم في رقاع لتطوف بها في المحافل من قبلك...ويعاين عوام الرعية من جميل صنع الله..ويقابلونها بحقها ويسعون بشكرها..."إدريس، تاريخ، ص٤٧٩.

([٢٨٨]) بولقطيب، م.س، ص٤٦.

([٢٨٩]) البكري، م.س، ص٩٦.

([٢٩٠]) ابن عذاري، ج١، ص١٦٣.

([٢٩١]) ابن عذاري، م.س، ج١، ص١٧٤.

([٢٩٢]) أبي العرب تميم، م.س، ص٢٣٥؛ ابن عذاري، م.سج١، ص١٨٣؛ المالكي، م.س، ج٢، ص١٥٢.

المهدية للعقاب نتيجة هروب بعض المحبوسين بأن"قُطعت يدا السجان ورجلاه"[٢٩٣]، ولما ظفر المنصور بأحد الثوار في جبل أوراس عام ٣٣٦هـ/٩٤٨م "قطع أيدي أصحابه وأرجلهم وصلبهم"[٢٩٤].

لجأ الفاطميون إلى **الخنق** كوسيلة لإزهاق أرواح الجناة، فقد اكتشف أبو عبدالله الشيعي بعد إسقاطه لدولة الأغالبة عام ٢٩٦هـ/٩٠٩م مؤامرة يقودها إبراهيم بن بربر المعروف بالقوس للوثوب عليه"فُقتل خنقاً"[٢٩٥]، وحين وُجهت إلى رجل من أهل القيروان تهمة إثارة الشغب وتحريض السكان على الثورة ضد المهدي"حكمه عبيدالله ..وحبسه ثم خنق حتى مات"[٢٩٦].

كان من أبشع صور الإعدام المذكورة في المصادر القتل عن طريق الركض **بالأرجل** بشرية كانت أم حيوانية، فقد وصف المالكي[٢٩٧]طريقة قتل التاجر الأندلسي الفقيه أبو جعفر بن خيرون بتحريض من القاضي المروذي عام ٣٠٠هـ/٩١٣م، حيث أُتي به إلى مجلس والي القيروان بن أبي خنزير"ثم بطح على ظهره وطلع السودان فوق السرير فقفزوا عليه بأرجلهم حتى مات..وألقوه في حفير"، ومن عجيب القدر أن يكون جزاء المروذي من جنس عمله، حيث أنه تعرض لنكبة على يد المهدي، الذي فوض لابن أبي خنزير أمر التخلص منه "فألبسه ملبساً ورماه في إسطبل الدواب تمشي عليه فركضت في بطنه حتى قتلته"[٢٩٨].

تتوفر بالمصادر جملة من القرائن الدالة على اعتماد السلطة الفاطمية أسلوب **الصلب** في حق بعض الخصوم والمغضوب عليهم، فحسب رواية ابن عذارى[٢٩٩]قُتل الفقيهان ابن البرذون وابن هذيل عام ٢٩٧ه/٩١٠م"وطيف بهما في سماط القيروان، مجرورين مكشوفين ثم صلبا"، وحين قتل ابن قرهب وأبنه وقاضيه حملوا إلى أحد أبواب المهدية"وصلبوا هناك"[٣٠٠] وبعدما قطع لسان المؤذن عروس "قتل بالرماح وصلب"[٣٠١]، وأصدر المهدي

---

([٢٩٣]) المالكي، م.س، ج٢، ص١٧٤..

([٢٩٤]) ابن حماد، م.س، ص٦٦.

([٢٩٥]) ابن عذاري، م.س، ص١٥٠.

([٢٩٦]) ابن عذاري، م.س، ص١٨٥.

([٢٩٧]) المالكي، م.س، ج٢، ص٥٤.

([٢٩٨]) الدباغ، م.س، ج٢، ص ص ٢٩٠-٢٩١.

([٢٩٩]) ابن عذاري، ج١، أحداث ٢٩٧هـ

([٣٠٠]) ابن عذاري، ج١، ص١٧٤.

([٣٠١]) أبي العرب تميم، م.س، ص٢٣٥؛ ابن عذاري، ج١، ص١٨٣؛ المالكي، م.س، ج٢، ص١٥٢.

أوامره بمعاقبة رجلين بالمهدية فـ"ضربا ثم قتلا ثم صلبا"[٣٠٢].ولم يقتصر الأمر على صلب الأموات إذ ترد إشارة عمن أمر به أن "يضرب خمسمائة سوط ويصلب حياً"[٣٠٣]، وتؤكد رواية ابن حماد[٣٠٤]اعتماد الفاطميين على الصلب كعقوبة تشهيرية لتكون عبرة لمن يعتبر، فحين أجهز المنصور على أحد الثوار "جعله في تابوت وكان يصلبه في كل موضع يحل به".

وإذا ما حملت تلك المعطيات في طياتها وبشكل ضمني نوعاً من التعدي للمحاذير الشرعية وعدم التورع عن التمثيل بالجثث[٣٠٥]، فإن إشارات أخرى تكشف عن تجاوزات أبشع في حقوق الموتى دون أدنى مراعاة لحرمتهم، فقد سارع واحد من قرابة الشيخ أبي فضل الممسي إلى إخفاء جثته بعد قتله في معركة ضد الفاطميين عام ٣٣٣هـ/٩٤٥م"وكانت بنو عبيد .يطلبوا جثته ليتشفوا منه"[٣٠٦]، وبعد قضاء المنصور على ثورة أبي يزيد توجه إلى تاهرت وأمر"بنبش عظام مصالة وفضل بن حبوس واحرقها بالنار"[٣٠٧]، ونكاية في أهل السنة الذين حذروا المعز الفاطمي من تحريف قبلة مسجد القيروان[٣٠٨]عام ٣٤٥هـ/٩٥٧م، وأنه لن يستطيع بقوة الرعاية التي كانت تحيط بهذا الجامع بفضل بركة دعاء عقبة بن نافع للمدينة وجامعها أمر المعز "بنبش قبر عقبة بن نافع وإحراق رمته بالنار"، إلا أن الجند عجزوا عن تنفيذ المهمة ببركة عقبة[٣٠٩].

بما أن الخليفة لا يُنافس، وللجمع بين العرض العقابي للردع ونقشه في ذاكرة الجماهير والاحتفال التشهيري للإمعان في ازدراء الخصم أو الثائر كان يُنصب له حفل إذلال

---

(٣٠٢) الخشني، م.س، ص٢٣٠..

(٣٠٣) الليبدي، م.س، ص٤٠.

(٣٠٤) م.س، ص٦٥.خاطب أحد الشعراء المنصور بعد صلبه لأبي يزيد بقوله: وضربته مثلاً يسير في الأقارب والأباعد. انظر، ابن حماد، م.س، ص٧٧.

(٣٠٥) عياض، مدارك، ج٢، ص٢٩ حيث يقول "اشتد الأمر على أهل السنة فمن تكلم أو تحرك قتل ومُثّل به".

(٣٠٦) المالكي، م.س، ج٢، ص٢٩٨..

(٣٠٧) ابن حماد، م.س، ص٧٧.

(٣٠٨) أثبتت الدراسات الحديثة وجود انحراف بجامع عقبة نحو الجنوب بحوالي ٣١ درجة.انظر،
Sebag, P., *La grande mosquée de Kairouan*, 1963,p.19.

(٣٠٩) مجهول، الاستبصار، ص١١٩؛ الحميري، م.س، ص٤٨٧.ويبدو أن حرص المعز على حمل رفاة أبيه وأجداده وهو يهم بمغادرة المغرب يفسر خوفه من تعرض قبورهم للنبش ورفاتهم للحرق من قبل ساكنة بلاد المغرب كرد فعل طبيعي لاستخدامه الأسلوب ذاته مع موتاهم.الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٨، ص١٧٩.

قد يتجاوز الموت نفسه[٣١٠]؛حيث يُقاد عاري الرأس، ويطاف به ويصفع على قفاه، مما يسقط عنه خصائص الرجولة، وقد يوضع في قفص مما يجعل منه حيواناً، وهو موجه أصلاً لوشم الذاكرة من خلال هذا الأثر المرعب، فقد أراد المهدي إذلال اليسع بن مدرار والتشفي منه قبل قتله فأمر بضربه "بالسياط فضرب وطيف به في بلاد سجلماسة"[٣١١]وقبل قتل الفقيهين ابن هذيل وابن البرذون"طيف بهما في سماط القيروان مجرورين مكشوفين"[٣١٢]، "غير مستورين"[٣١٣]، وبالمثل قُطع لسان عروس المؤذن ثم "طيف به القيروان ولسانه بين عينيه ثم قتل"[٣١٤]، أما الفقيه ابن الوليد الذهلي(ت٣٣٩هـ/٩٥١م)والذي كان شديد البغض للفاطميين، كثير السب لهم فقد تم القبض عليه وطوف "في جميع القيروان عرياناً وصفع قفاه حتى سال الدم من رأسه"[٣١٥]، وبعدما قُبض على الثائر المارطي وأنصاره الكتاميين عام ٣٠٠هـ/٩١٣م حُمل الأسرى "قطوفوا بالقيروان على الجمال، وعليهم القلانس الطوال المشهرة بالقرون والمصافع فقتلوا بمدينة رقادة"[٣١٦]، وحين أجهز الموت على أبي يزيد النكاري دون أن يشفي منه المنصور غليله، تفنن الأخير في إظهاره كأنه حي، وأخضع جثته لهذا النوع من الإذلال حيث "أمر بسلخه وحشو جلده قطناً وخيطت وصاله حتى تمت جثته وصار كأنه نائم وقدد لحمه وملح"[٣١٧]"حتى ظهرت صورته كأنها ناطقة"[٣١٨]، وأدخله في قفص صُنع له خصيصاً[٣١٩]، و"البس قميصا، وقلنسوة بيضاء، واركب جملاً وأردف خلفه ....قردان قد علما، فكانا يصفعانه ويعبثان بلحيته..فطوف بالقيروان وصبرة"[٣٢٠] "ثلاثة أيام

---

(٣١٠)آثر بعض الثوار الانتحار هروباً من هذا المصير المحتوم.ابن حيان، المقتبس، تحقيق عبد الرحمن الحجي، دار الثقافة ، بيروت، ١٩٨٣م، ص٣٨، ابن عذاري، م.س، ج١، ص١٣١، ج٢، ص٢٤٣، ابن خلدون، م.س، ج٦، ص١٨٢.

(٣١١) النويري، م.س، ج٢٨، ص٦٥.

(٣١٢) ابن عذاري، م.س، ج١، ص١٥٥.

(٣١٣) الخشني، م.س، ص٣١٦.

(٣١٤) المالكي، م.س، ج٢، ص١٥٢.

(٣١٥) عياض، م.س، ج٢، ص٤٧.

(٣١٦) ابن عذاري، م.س، ج١، ص١٦٨.

(٣١٧) ابن حماد، م.س، ص٧٦.

(٣١٨) إدريس، تاريخ، ص٤٥٢.

(٣١٩) ابن حماد، م.س، ص٧٤؛ المقريزي، الحنفا، ج١، ص٨٥.

(٣٢٠) ابن حماد، م.س، ص٧٨.

متوالية وعليه الطرطور والقردان وهو على جمل كالراكب"[٣٢١].ولم يتردد النعمان[٣٢٢] في تسجيل رواية تشهد على سيطرة شهوة إذلال الخصوم على تفكير المعز، حيث أنه قبل القبض على خصميه المواليين للأمويين أحمد بن بكر الجذامي وابن واسول أشرف بنفسه على وضع تخطيط لعجلتين محكمتي الصنعة لم يسبق لأحد قبله عملهما، لاستخدامها في التشهير بهذين الخصمين.

يعد **التعذيب** أحد أهم مظاهر العنف، والذي اعتبره البعض[٣٢٣]طقساً منظماً لوسم الضحايا، وفناً يرتبط بنمط الإصابة الجسدية، وبكمية وزخم الأوجاع، وتكنولوجيا تهدف السلطة من وراء استخدامها إلى ترويض الجسد البشري واستثماره وإخضاعه واستعباده، وهو ما كان حاضراً بشدة في أسلوب الفاطميين العقابي، ففضلاً عما ورد عمن"ماتوا في دار البحر بالمهدية ..في العذاب"[٣٢٤]، ، وعمن"عُذب وأخذ ماله"[٣٢٥]، وعمن"عُذب حتى مات"[٣٢٦]، وعمن"مات في عذاب الشيعة"[٣٢٧]، وعمن عذب "عذاباً شديدا"[٣٢٨] ، وعمن "عذب أصناف العذاب"[٣٢٩]، وعن حزن المنصور لموت الثائر أبي يزيد لأنه كان "يريد حياته ليعذبه بأنواع العذاب"[٣٣٠]، تكشف المصادر عن عدة أساليب وأشكال للتعذيب مارستها السلطة الفاطمية، مثَّلَ الضرب بالسياط واحدة منها، حيت ترد إشارات عمن"ضرب في الجامع على رؤوس الناس"[٣٣١] وعمن "ضرب...خمسمائة سوط"[٣٣٢] وعمن ضرب"ضرباً مهيناً فمات"[٣٣٣]، وعمن"بطح على خمرة طين وضرب تسعاً وسبعين درة"[٣٣٤]، وعمن "حبس

---

([٣٢١]) إدريس، تاريخ، ص٤٦٩.

([٣٢٢]) المسايرات، ص٤١٨.

([٣٢٣]) ميشيل فيكو المراقبة والمعاقبة، ص٧١ ، ٧٢، أوبيير دريفوس وبول رابينوف، ميشـــــــــــيل فوكو، مســـيرة فلسفية، ترجمة جورج أبي صالح، مركز الإنماء العربي، بيروت، د.ت، ص١٠٤؛ نيكولاس بولانتزاس، نظرية الدولة، ترجمة ميشيل كيلو، التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠١٠م، ص٢٦.

([٣٢٤]) الدباغ، م.س، ج٣، ص٣٤.

([٣٢٥]) الخشني، م.س، ص٢٣٦.

([٣٢٦]) ابن عذاري، م.س، ج١، ص١٦٩.

([٣٢٧]) ابن عذاري، م.س، ج١، ص١٨١.

([٣٢٨]) عياض، م.س، ج٢، ص٥٨.

([٣٢٩]) الخشني، م.س، ص٢٣٣.

([٣٣٠]) الدرجيني، م.س، ص١٠٢.

([٣٣١]) الخشني، م.س، ص٢٣٠.

([٣٣٢]) المالكي، م.س، ج٢، ص٤٨.

([٣٣٣]) الخشني، م.س، ص٢٣٢.

وضرب"[٣٣٥] ، وعمن "ضرب بالعصي بطحا"[٣٣٦]، وكشف قروي من أهل طرابلس عن ظهره أمام أبي يزيد النكاري فإذا "آثار السياط قد عمت ظهر القروي...فذكر أن كل عامل يتولى يفعل ذلك به"[٣٣٧]

ولتفادي حرمان الخصم من الوجود دون الإحساس بالألم فيما يعرف بـــ"فن إمساك الحياة في الوجع"[٣٣٨]شاع في عهد المنصور الفاطمي **سلخ جلود المناوئين** قبل قتلهم كصورة بشعة من صور التعذيب، فحسب رواية ابن حماد[٣٣٩]جيء إليه بغلام ثائر أدعى الإمامة بجبل أوراس فأمر "بسلخه حياً وحشا جلده قطناً....وكذلك كان يفعل بأمثاله ممن يبالغ في الانتقام منه حتى سمي السلاخ"، كما وقع ثائر آخر يعرف بابن أبي بردعة في يد المنصور عام ٣٣٦ه/٩٤٨مـــ "فأمر به ...فسلخ على باب المهدية"[٣٤٠]وقد تعرض الثائر الشهير أبو يزيد النكاري لهذا النوع من التعذيب مما عجل بوفاته حيث "أمر إسماعيل بسلخه فأخذوا يسلخونه فلما انتهوا إلى سرته مات"[٣٤١].

من أجل انتزاع الاعتراف ابتكر الفاطميون وسيلة جديدة من وسائل التعذيب، كشف عنها الخشني[٣٤٢]أثناء ترجمته لرجل يدعى علي بن علي بن أبي المنهال الذي اتهمه المهدي أنه اختلس مالاً وفيراً من أموال الدولة، فُعذب أصناف العذاب ليقر بالجريمة وكان من بينها أنه "كان يدخل رأسه في جراب جبر".

من طرق التعذيب التي وردت بالمصادر **صلب الشخص حياً** وتعريضه لحرارة الشمس وحرمانه من الماء حتى يموت عطشاً، وهو ما تجسده رواية المالكي[٣٤٣]بخصوص قاضي مدينة برقة محمد بن إسحاق الحبلي الذي تعرض للعقوبة من قبل عامل برقة ابن الكافي عام ٣٤١هـــ/٩٥٣م لأنه رفض الصلاة بالناس والخطبة للعيد لعدم ثبوت رؤية الهلال لديه، حيث "نصب له صارياً عند الباب الأخير من أبواب الجامع الذي يلي درب المهدي

---

([٣٣٤]) المالكي، م.س، ج٢، ص٣١٤..

([٣٣٥]) الخشني، م.س، ص٢٣٣.

([٣٣٦]) الخشني، م.س، ص٢٣١..

([٣٣٧]) التجاني، م.س، ص٢٥٤.

([٣٣٨]) فوكو، المعاقبة، ص٧١.

([٣٣٩]) ابن حماد، م.س، ص٦٥.

([٣٤٠]) إدريس، تاريخ، ص٤٨٦.

([٣٤١]) الدرجيني، م.س، ص١٠٢.

([٣٤٢]) م.س، ص٢٣٣.

([٣٤٣]) المالكي، م.س، ج٢، ص٤٠٥.

وعلق بيده إليه في الشمس فأقام ذلك ضاحياً للشمس في شدة الحر يومه ذلك ، فلما كان بالعشي مات..وكان يطلب من يسقيه الماء في ذلك الحال فلا يجسر أحد من الناس يسقيه لأنهم خافوا فلما مات أخذوه ومضوا به فصلبوه على خشبة بباب أبي الربيع".

غير أن أغرب طرق التعذيب التي قام بها الفاطميون تتمثل في **إحراقهم للناس أحياء**، وبما أنها تشكل قسوة بالغة في التنكيل فقد تم استخدامها مع من ثبت عليهم جريمة التآمر على الدولة بالتخابر لصالح الخصوم ، ففي عام ٣٠١هـ/٩١٤م اتهم القائد الشيعي حباسة بن يوسف جماعة من أهل برقة بمراسلة العباسيين فأضرم لهم "ناراً ، وأجلسهم حواليها، وأمر بأن تقطع لحومهم وتشوى ثم يطعمونها وقذفهم بعد ذلك في النار"(٣٤٤)، ويبدو أن هذا النوع من العقاب كان ملازماً لأهل برقة زمن الفاطميين، فبعد القضاء على ثورتهم عام ٣٠٤هـ/٩١٧مـــ بعد حصار دام ثمانية عشر شهراَ "أُحرق قوم منهم بالنار"(٣٤٥)، وتعرض رجل للحريق على يد حاشية المهدي حيث "أضرموا عليه النار طوال الليل"(٣٤٦)، وحسب رواية ابن حماد(٣٤٧)كان للمنصور طريقة مبتكرة "للموت البطيء" خصصها لمن يقع في يده من أنصار أبي يزيد، حيث بنى أسفل جبل كيانة"تنوراً كبيراً وأضرمه ناراً ، وعلق عليه بكرة، فإذا اخذ أحداً من البربر علقه برجله إلى البكرة ثم مالاه في التنور إلى موضع يناله حر النار فيه، فإذا اشرف على الموت روح عنه شيئاً فإذا رجعت إليه نفسه أعاده حتى يموت".

إلى جانب أصناف القتل وأنواع التعذيب كحلول ناجعة للتعامل مع الخصوم، لجأ الفاطميون إلى أساليب الذبح(٣٤٨)، والاغتيال السياسي(٣٤٩)، والقتل بالرجم(٣٥٠)، وقصف المدن والقرى بالمنجنيق(٣٥١)، والحصار والتجويع(٣٥٢)، وانتهاك الحرمات(٣٥٣)، والتهجير القسري

---

(٣٤٤) ابن عذاري، م.س، ج١، ص١٧٠.

(٣٤٥) ابن عذاري، م.س، ج١، ص١٧٥..

(٣٤٦) المالكي، م.س، ج٢، ص٢٥٤؛ النويري، م.س، ج١، ص٢٧٧.

(٣٤٧) ابن حماد، م.س، ص٧٤.

(٣٤٨) المالكي، م.س، ج٢، ص٤٤٩؛ ابن عذاري، م.س، ج١، ص٢٨٤؛ ابو شامة، م.س، ج٢، ص١٤٢.

(٣٤٩) ابن حيون، افتتاح، ص٣١٦.

(٣٥٠) التجاني، م.س، ص٢٥.

(٣٥١) إدريس، تاريخ، ص٢٢٤.

(٣٥٢) ابن حيون، افتتاح، ص١٧٨-١٧٩؛ ابن عذاري، م.س، ج١، ص١٦٩. النويري، م.س، ج٢٨، ص٦٨.

(٣٥٣) ابن عذاري، م.س، ج١، ص٤٤٩؛ الدرجيني، م.س، ص٩٤.

للسكان[٣٥٤]، والحرق والتدمير[٣٥٥]، ونهب الأموال والممتلكات[٣٥٦]، والتنكيل[٣٥٧]والحبس[٣٥٨]والإقامة الجبرية[٣٥٩]وحظر التجول[٣٦٠]ومنع التجمهر حتى في الجنائز[٣٦١]، والتضييق على السجناء وحرمانهم من أبسط الحقوق[٣٦٢]، واسترقاق الخصوم[٣٦٣]، والتجنيد الإجباري[٣٦٤].

لا يمكن إغفال العنف كمتلازم وربما كمحرك **للسياسة المالية الجائرة للفاطميين**، إذ يصعب فهم تاريخهم بمعزل عن مضامين سياستهم الاقتصادية البعيدة المدي [٣٦٥]، فقلد فرضت مشروعات الفاطميين المسرفة في الطموح للسيطرة على العالم الإسلامي برمته الإبقاء على قوات مسلحة قوية وباهظة التكاليف، مما استلزم إجراءات مالية جائرة[٣٦٦] شديدة الوطأة على السكان[٣٦٧]، مستندة إلى مبررات شرعية[٣٦٨]، فقبل مغادرته سجلماسة أجبر

---

([٣٥٤]) اللبيدي، م.س، ص٧٣؛ المالكي، م.س، ج٢، ٣٨١؛ الدرجيني، م.س، ص٩٤.

([٣٥٥]) ابن عذاري، م.س، ج١، ص١٦٢، ١٦٩؛ إدريس، تاريخ، ص٢٢٤.

([٣٥٦]) ابن حيون، افتتاح، ص٢٠٨.

([٣٥٧]) الخشني، م.س، ص٢٣١.

([٣٥٨]) الجوذري، م.س، ص٩٤؛ الخشني، م.س، ص٢٣٠ ؛ المالكي، م.س، ج٢، ص٢٦٤؛ ابن الفرضي، تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، عني بنشره وصححه السيد عزت العطار، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٥٤م، ج١، ص١٤٣؛ عياض، م.س، ج٢، ص ٤١، ١٦٣.

([٣٥٩]) أبي العرب تميم، م.س، ص٣٦٣؛ الخشني، م.س، ص ٢٣١؛ المالكي، م.س، ج٢، ص٢٨٧، ٣١٣.

([٣٦٠]) الجوذري، م.س، ص٧٤؛ ابن عذاري، ج١، ص١٥١؛ المالكي، م.س، ج٢، ص٣٣٢؛ عياض، م.س، ج٢، ص٧٢.

([٣٦١]) المالكي، م.س، ج٢، ص٢٥٨؛ عياض، م.س، ج٢، ص٧٥.

([٣٦٢]) المالكي، م.س، ج٢، ص١٤٨.

([٣٦٣]) البكري، م.س، ص٩٦؛ ابن عذاري، م.س، ج١، ص١٦٢، ١٦٦، ١٨٧؛ النويري، م.س، ج٢٨، ص٥٦.

([٣٦٤]) اللبيدي، م.س، ص٣٣؛ المالكي، م.س، ج٢، ص٣٨١.

([٣٦٥]) عبد الحي شعبان، الدولة العباسية، الفاطميون ١٣٢-٤٤٨هـ، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٦م، ص٢٢٤.وحول تلك السياسة المالية انظر الحبيب الجنحاني، "السياسة المالية للدولة الفاطمية بالمغرب"، ضمن كتابه المجتمع العربي الإسلامي، عالم المعرفة، ع٣١٩، ٢٠٠٥م، ص٢٠٧-٢٢٠، بوبة مجاني، " أثر الضرائب في ثوابت و متغيرات سياسة الخلافة الفاطمية في مرحلتها المغربية"، مجلة دراسات تاريخية، سوريا، مج٢٠، ع ٦٧-٦٨، ١٩٩٩م، ص ١٢٧-١٥٧.

(٣٦٦)ألفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، ترجمة عبد الرحمن بدوي، بنغازي، ١٩٦٦م، ص١٦٢، Marcais, G., *La Berberie musulmane el I'Orient au moyen age* (Paris, 1946), p.143.

([٣٦٧]) الجنحاني، م.س، ص٢٠٧.

المهدي الدعاة على تسليمه الأموال التي جمعوها[٣٦٩]ليضمها إلى الأموال التي صادرها من أغنياء المدينة[٣٧٠]، وحين دخل رقادة أصدر عفواً عاماً للناس في الأنفس والذراري دون الأموال[٣٧١]، وراح يستحدث أنواعاً من الجبايات والمغارم التي أثقلت كاهل الناس[٣٧٢]، كما امتدت يده إلى "أموال الأحباس والحصون"[٣٧٣].ولأن الجبايات لا تدفع من طرف الملزمين عن طيب خاطر بل تستخلص بالضغط والإكراه[٣٧٤]ولتمتع الجباة بسلطة كبرى وبهامش كبير من الحرية زيادة على استئثارهم بما يزيد عن القوانين، فقد اُستعملت كل الوسائل لاقتضاء المال[٣٧٥]، وهو ما تكشف عند الروايات، ففي عام ٣٠١ه/٩١٤مـ قتل القائد الفاطمي حباسة بن يوسف من أهل برقة ألف رجل، ثم أمر "بجمع جثثهم ووضع عليها كرسياً وجلس فوقه ثم أدخل وجوه أهل البلد فنظروا إلى ما هالهم من كثرة القتلى...وقال:إن لم تحضروني غدا مائة ألف مثقال قتلتكم أجمعين فاحضروها إياه"[٣٧٦]، ولم يشفع عند المهدي ما تعرض له السكان في عام ٣٠٧هـ/٩٢٠م من الطاعون وغلاء الأسعار بل نال الناس "الجور الشامل من الشيعة والتعلل على أموال الناس من كل جهة"[٣٧٧]، وأشار المعز الفاطمي في إحدى رسائله أن جماعة من أهل قصر الافريقي شكوا إليه واليهم "وانه قبض على رجل منهم بسبب تظلمه ..فاغرمه مالا وأودعه السجن"[٣٧٨]

لم يقتصر الأمر على ذلك بل امتدت أيدي الفاطميين لانتزاع أموال الناس بالقوة والإكراه، فقد خصص المهدي ديواناً لأموال الهاربين مع زيادة الله الاغلبي "واستصفى أموالهم"[٣٧٩]، وبعد تخلصه من أبي عبدالله الشيعي وأخيه "استصفى أهل الثروة وأخذ أموالهم

---

([٣٦٨]) ابن حيون، إتباع الأئمة، ص ص٦٨-٧٠، ٧٥-٨٥؛ افتتاح الدعوة، ص ١٨٩.

([٣٦٩]) المقريزي، الحنفا، ج١، ص٦٧.

([٣٧٠]) مجهول، الاستبصار، ص٢٠٢.

([٣٧١]) ابن عذاري، م.س، ج١، ص١٥٨.

([٣٧٢]) ابن حيون، المسايرات، ص٣٣٧-٣٣٨؛ الخشني، م.س، ص ص١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٨ .

([٣٧٣]) الدباغ، م.س، ج٢، ص١٩٩.

([٣٧٤]) ابن خلدون، المقدمة، ج٢، ص٢٧٣.

([٣٧٥]) محمود إسماعيل، "المالكية"، ص ص ٨٢-٨٣.

([٣٧٦]) ابن عذاري، م.س، ج١، ١٧٠.

([٣٧٧]) ابن عذاري، م.س، ج١، ص١٨١.

([٣٧٨]) الجوذري، م.س، ص٩٤.

([٣٧٩]) ابن عذاري، م.س، ج١، ص١٨١.

كلها"[٣٨٠]، وفي عام ٢٩٩هـ/٩١٢م دخلت عساكره مدينة تاهرت"وانتهبوا الأموال"[٣٨١]، وفي عام ٣٠٠ه/٩١٣مـ تم القبض على التاجر الأندلسي الثري محمد بن خيرون بعد أن وشى به البعض بأن لديه وديعة كبيرة "فطولب بها وعذب حتى مات"[٣٨٢]، وفي عام ٣٠٥ هـ/٩١٨م تم القبض على متولي جباية طرابلس وتونس محمد بن عبد السلام من أجل "أخذ نعمته ومات في عذاب الشيعة"[٣٨٣]، وفي عام ٣٠٩هـ/٩٢٢م دخل حباسة بن يوسف مدينة سجلماسة "وانتهب أموالها"[٣٨٤]، ولما مات أبو سعيد المعروف بالوكيل في عهد المهدي، وكان من ذوي الأموال الوافرة، هرع بعض قواد الفاطميين إلى داره وأخذوا منها "أربعين ألف مثقال، سوى البز والجوهر، وضربوا ابنه"[٣٨٥]، وفي إحدى جولاته العسكرية ببلاد المغرب كان القائم "ينزل في العساكر على بلد بلد فيستصفي أمواله.. ويأخذ ما فيه من الأسلحة والأمتعة، ...ويضع المكوس والضرائب ويتوصل إلى إزالة النعم"[٣٨٦]، كما تتوالى الإشارات عمن "صادره السلطان العبيدي وضرب وامتحن"[٣٨٧]، وعمن"ضربه الشيعي وعذبه وأخذ نعمته"[٣٨٨]، وعمن"طولبوا بالأموال وعلقوا عليها"[٣٨٩]، وعمن دارت عليه"دائرة في حين تغريم الناس فحبس وضرب"[٣٩٠]، وعمن"هرب من السلطان خوفاً منه يطلب ماله ظلماً"[٣٩١]، وعمن يغرمه "السلطان على المواشي والعبيد خاصة ولا ماشية له ولا عبيد"[٣٩٢]، وعمن"يبيع عروضه في السوق لأجل أن السلطان رمى عليهم ظلماً"[٣٩٣]، وعمن "طلبه السلطان بغرم مال فتسلفه"[٣٩٤]، وعن"عامل السلطان الجائر الظالم يأخذ العشر يأكلها ويغرم الناس بلا

---

([٣٨٠]) ابن عبد الجبار، م.س، ج٢، ص٥٩٩.
([٣٨١]) ابن عذاري، مصدر سابق، ج١، ص١٦٦.
([٣٨٢]) ابن عذاري، م.س، ج١، ص١٦٩.
([٣٨٣]) ابن عذاري، م.س، ج١، ص١٨٠-١٨١.
([٣٨٤]) ابن عذاري، م.س، ج١، ص١٦٦.
([٣٨٥]) الخشني، م.س، ، ص١٧٥.
([٣٨٦]) ابن عبد الجبار، م.س، ج٢، ص٥٩٩.
([٣٨٧]) الذهبي تاريخ الإسلام، ج٧، ص١٥١.
([٣٨٨]) الخشني، م.س، ص٢١٧.
([٣٨٩]) اللبيدي، م.س، ص٦٤.
([٣٩٠]) الخشني، م.س، ص٢٣٢.
([٣٩١]) الونشريسي، م.س، ج٩، ص٥٤٤.
([٣٩٢]) البرزلي، م.س، ج٥، ص١٥٤.
([٣٩٣]) الونشريسي، م.س، ج٩، ص٥٦٦.
([٣٩٤]) البرزلي، م.س، ج٥، ص١٥٤.

حق"[٣٩٥]، وحسب رواية دالة تجاوز النهم لجمع المال حدود المعقول، حتى أن امرأة رفعت شكواها بأن أحد الجباة تعدى عليها لتغريمها مالاً، وأنها تعرضت من أجل ذلك للـــ"تعرى من كسائها"[٣٩٦]، كما تعرضت امرأة اباضية للضرب والاعتقال من قبل جنود السلطة بعد أن عجزت عن دفع غرامة فرضت عليها[٣٩٧].وبينما تصدى بعض المالكية لتلك السياسة المالية الجائرة، وجابهوا السلوك العنيف من قبل العمال والقواد ضد الرعية في مصادرة الأموال ونهب المدن بالفتوى بجواز التهرب من دفع الضرائب للفاطميين[٣٩٨]، متبرئين من ممارسات الدولة ومعاملاتها غير المشرعة[٣٩٩]، عمد جوذر[٤٠٠]إلى تبرئة الخلفاء من "كثر امتداد أيادي العسكريين إلى نهب غنائم الرعايا"، وهو ما تدحضه روايات أخرى تؤكد على أن جمع الأموال الطائلة لصالح الخزانة الفاطمية كان وسيلة ناجعة للحظوة لدى الخلفاء وتولي المناصب العليا[٤٠١].

**ردود أفعال الرعية تجاه العنف الفاطمي.**

أشار ابن خلدون[٤٠٢]إلى واحدة من المؤشرات السلوكية والآثار النفسية الجماعية لظاهرة العنف في الذهنية المتلقية لها بقوله :"الملك إذا كان قاهراً باطشاً بالعقوبات منقباً عن عورات الناس..شملهم الخوف والذل ولاذوا منه بالكذب و المكر و الخديعة "، حيث يسعى الأفراد من "الرعايا المتخاذلين الذين.. تعبدهم القهر و رئموا للمذلة"[٤٠٣]عوض مقاومة المتسلط إلى التماهي والتآخي معه والإعجاب به والاستسلام لإرادته في حالة من التبعية الكلية، وينهار اعتباره لذاته، ويرى في المتسلط حق السيادة ، وتبرز حالات الاستزلام

---

([٣٩٥]) الونشريسي، م.س، ج٩، ص٥٧٢.

([٣٩٦]) عياض، م.س، ج١، ص٤٩٨.

([٣٩٧]) الشماخي، السير، المطبعة البارونية، القاهرة، ١٣٠١هـــ ، ص٤٦٥.

([٣٩٨]) ابن أبي زيد القيرواني، م.س، ص٣٥٧؛ الداودي، كتاب الأموال، تحقيق، رضا محمد سالم، ط.دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٨م، ص١٧٩؛ الونشريسي، م.س، ج٩، ص٥٦٥.

([٣٩٩]) المالكي، م.س، ج٢، ص٢٩٨.

([٤٠٠]) م.س، ص٤٣.

([٤٠١]) الجوذري، م.س، ص١٢٩، ١٤٠؛ ابن عذاري، م.س، ج١، ص١٨٨، ٢١٥.

([٤٠٢]) المقدمة، ج١، ص٣٢٣.ويقول في موضع آخر"إذا كانت الملكة و أحكامها بالقهر و السطوة و الإخافة فتكسر حينئذ من سورة بأسهم و تذهب المنعة عنهم لما يكون من التكاسل في النفوس المضطهدة".م.س، ج١، ص٢٠٢.

([٤٠٣]) ابن خلدون، م.س، ج١، ص٤٤.

والتقرب والاستكانة والمهانة[٤٠٤]، فـ"الرجال التواقين لنيل رضا أمير يتقدمون له في كل الأحوال تقريباً بالأثمن مما في حوزتهم، أو بالأشياء التي يعلمون أنها تسعده بوجه خاص"[٤٠٥]، وهكذا أمام شتى وسائل الإكراه والقمع التي اتبعها الفاطميون، تملك الخوف قلوب بعض العلماء والفقهاء والزهاد[٤٠٦]فركنوا إلى اللين والمرونة والمراوغة، ففضلاً عمن آثروا السلامة وعدم المواجهة[٤٠٧]، وأحجموا "لهيبة السلطان"[٤٠٨]، وخشية"من عساكر الشيعة"[٤٠٩]، وعمن تشيعوا[٤١٠]وسايروا الخط الفكري للدولة، وانخرطوا في سلك الدعوة الإسماعيلية وأصبحوا من الأطر العلمية لها[٤١١]، تتواتر الإشارات عمن كان يأتي السلطان"في الهناء والعزاء مداراة"[٤١٢]، وعمن يقبل هداياهم[٤١٣]، وعمن يتلطف معهم ويقول بآرائهم[٤١٤]، وعمن يعلم أبنائهم[٤١٥]، وعمن"أوصى بجميع ماله للسلطان"[٤١٦]، وعمن"أغلق عن نفسه باب السماع"[٤١٧].ولعل في قول أحد المالكية ممن برر مشاركته في ثورة أبي يزيد:"يكفر عنا بجهادنا تفريطنا وتقصيرنا عما يجب علينا من جهادهم"[٤١٨]ما يؤكد تراجع

---

([٤٠٤]) مصطفى حجازي، التخلف الاجتماعي، مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، ط٩، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٥، ص٤٣، اربك فروم، الخوف من الحرية، ترجمة مجاهد عبد المنعم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٢، ص١٢٧-١٢٨.

([٤٠٥]) القلموني، م.س، ص٢٤ .

([٤٠٦]) المالكي، م.س، ج٢، ص١٧٥..

([٤٠٧]) جاء على لسان احدهم"إنا لم نبلغ درجة الصديقين حتى نقتل على الحق"، اللبيدي، م.س، ص٣٧.

([٤٠٨]) الخشني، م.س، ، ص١٩٩؛ ابن أبي زيد القيرواني، م.س، ص٣٤٧.

([٤٠٩]) ابن الفرضي، م.س، ص٧٥.

([٤١٠]) استخدمت مصادر الفترة لفظة "تشرق" للدلالة على الدخول في دعوة الفاطميين.حول هذا المصطلح وتفسيراته انظر، عمر حمادي، "حول نعت الدولة الفاطمية بالتشريق ونعت الداخلين فيها بالمشارقة"، حوليات الجامعة التونسية، تونس، ع ٣٩، (١٩٩٥)، ص ص٢٨١ - ٣٠٤ .

([٤١١]) اللبيدي، م.س، ص٣٨، ٤٧؛ الخشني، م.س، ص ص ١٧٥، ٢١٤، ٢٢٣-٢٢٦، ٢٣٣؛ المالكي، م.س، ج٢، ص٢٥٩، ٥٠٤.

([٤١٢]) المالكي، م.س، ج٢، ص٢٦٠.

([٤١٣]) المالكي، م.س، ج٢، ص٢٦٠.

([٤١٤]) الدباغ، م.س، ج٢، ص١٤٨.

([٤١٥]) عياض، م.س، ج٢، ص١٥٧.

([٤١٦]) الخشني، م.س، ص٢٢٤.

([٤١٧]) المالكي، م.س، ج٢، ص٣٥٨..

([٤١٨]) المالكي، م.س، ج٢، ص٣٤٠..

الفقهاء في تسيير أمور العامة وتأطير الانتفاضات الحضرية بالمقارنة مع ما كان عليه الأمر خلال فترة الأغالبة، وهو ما انتبه إليه النعمان[٤١٩]حين فاخر بأن افريقية كانت مليئة "شيوخ ووجوه وفقهاء لهم مناظر وعقول ورجاحة وألسنة..فانقطع ذلك منهم بظهور أولياء الله فيهم، ومن كل من خالف أمرهم من أمثالهم وكسف الله نورهم وأمات بهائهم واذهب بهجتهم"، وربما في تحسر ابن أبي زيد القيرواني على ضعف الهمم في الإقبال على العلم[٤٢٠]، ووصف دراس بن إسماعيل علماء القيروان بقلة الحفظ[٤٢١]ما يؤكد ذلك.

عمد بعض الأعيان إلى الاعتراف المشحون بالممالأة والإمعان في التزلف والمداهنة، حتى بلغ الأمر ببعضهم إلى تقديس الحكام الفاطميين بل والادعاء بإلوهيتهم وعبادتهم، من أمثال "احمد البلوي النخاس" الذي كان يتخذ من رقادة قبلة لصلاته أيام كان المهدي بها، فلما انتقل إلى المهدية، صلى إليها، وكان يتصدى للمهدي ويقول له"ارق إلى السماء.كم تقيم في الأرض وتمشي في الأسواق"، وكان يقول لأهل القيروان في عبيدالله "لست ممن يعبد من لايرى.....انه يعلم سركم ونجواكم"[٤٢٢]، وهو ما نجد له نظيراً في سيرة رجل آخر كان يعد من الزهاد المرابطين يدعى "إبراهيم بن غازي" كان يسترضي الفاطميين بشتى الوسائل التي تصل إلى حد الكبائر[٤٢٣]، ولا ننسى أولئك المداهنون من الشعراء الذين تجاوزت أشعارهم عبارات المديح[٤٢٤]إلى دلالات توصف بالكفر والإلحاد[٤٢٥] .

ليس غريباً أمام هذا التخاذل والتماهي والاستزلام من قبل النخبة والصفوة المفكرة، أن تتملك مظاهر الخوف والرعب قلوب القاعدة الشعبية من المجتمع؛ممن آمنوا أن للسلطة

---

([٤١٩]) ابن حيون، افتتاح، ص٢٩١.

([٤٢٠]) ابن أبي زيد القيرواني، النوادر والزيادات، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، دار الغرب الاسلامي، ١٩٩٩م، ج١، ص٩.

([٤٢١]) عياض، م.س، ج٢، ص١٣٩.

([٤٢٢]) ابن عذاري، م.س، ج١، ص١٨٦.كرد فعل سريع كتب بعض أحداث القيروان هذين البيتين وتلطفوا في وصولها إلى المهدي دون أن يعلم ، الجور قد رضينا لا الكفر والحماقة

يا مدعي الغيوب من كاتب البطاقة؟ .ابن عذاري، م.س، ج١، ص١٦٠.

([٤٢٣]) ابن عذاري، م.س، ج١، ص١٨٦؛ عياض، م.س، ج١، ص٥١٥.

([٤٢٤]) الجوذري، م.س، ص٤٨-٤٩؛ إدريس، تاريخص٤٥٥.

([٤٢٥]) المالكي، م.س، ج٢، ص٤٩٥؛ ابن عذاري، م.س، ج١، ص١٨٦.

الحق بأن تستخدم حسب رغباتها حياتهم وحريتهم الجسدية ما دامت تبقيهما لهم[٤٢٦]، وانتهى بهم الأمر إلى الاستسلام للعنف والرضا به، وقبول الاغتراب في طاعة السلطة التي لا تقوم إلا على الإكراه[٤٢٧]، وقد أسهم في تكريس هذا التصور ونقله إلى مستوى الحقيقة جهود بعض الفقهاء، ممن روجوا أنه لا يجوز الخروج على أصحاب السلطة حتى ولو كانوا جائرين[٤٢٨]، وأن ظلم الحكام وجورهم أنما هي أقدار إلهية وجب استقبالها بالاستكانة والتضرع[٤٢٩]، محذرين من الخروج "على الأمراء بالسيف وإن جاروا"[٤٣٠].مرة أخرى يؤكد ابن خلدون[٤٣١]أن سياسة البطش التي اتبعها الفاطميون دفعت إلى الرضوخ والإذعان على المستوى الشعبي فالرعية"مسلمون للعبيدين أمرهم مذعنون لملكهم..لما حصل من صبغة الملك..ولما استحكم من الغلب"، وهكذا ألقت السياسة الدموية التي تعامل بها ابو عبدالله الشيعي مع خصومه أثناء اجتياحه لبلاد المغرب الرعب في قلوب ساكنيه ، حيث "اهتز المغرب لخروجه..وزالت القبائل عن طريقه، وأتته رسلهم فدخلوا في طاعته"[٤٣٢]، و"أستأمن إليه كثير من القبائل...وسلموا الأمر إليه"[٤٣٣]، وهو ما ينسحب على أهل مدينة باغاية الذين "كاتبوه ..وان جاء سلموا له أمره..وخرج جماعة من وجوه أهل باغاية فتلقوا أبا عبدالله وسألوه الأمان"[٤٣٤]، وانتاب أهل رقادة حالة من الهلع والرعب والخوف والإرجاف[٤٣٥]عند اقتراب القائد الشيعي حيث" ارتجت الحاضرة واضطربت أحوال الجند ويئسوا من البلد وخافوا علي ذراريهم وأهليهم السبي والاسترقاق"[٤٣٦]و"ركب بعض الناس بعضاً"[٤٣٧] مما

---

([٤٢٦]) فرانسوا رانجون، "السلطة والعنف"، ترجمة بدر الدين عرودكي، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي، لبنان، ع٢٧، ٢٨، ١٩٨٣، ص٨٧.

([٤٢٧]) جان لوك، رسالة في التسامح، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨، ص٧٠-٧١.

([٤٢٨]) عياض، م.س، ج١، ص١٩٨.

([٤٢٩]) أبو يوسف، كتاب الخراج، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٩م، ص١٠.

([٤٣٠]) الملطي، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، تحقيق محمد زاهد الكوثري، مكتبة الثقافة الإسلامية، القاهرة، ١٩٤٩م، ص٢٤، المعظم عيسى الأيوبي، السهم المصيب في كبد الخطيب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٣٢م، ص٦٠.

([٤٣١]) المقدمة، ج١، ص٢٦٥.

([٤٣٢]) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج١، ص٦٥؛ ابن الأثير، م.س، ج٦، ص٥٩٣.

([٤٣٣]) النويري، م.س، ج٢٨، ص٥٥.

([٤٣٤]) ابن حيون، افتتاح، ص ٢٠٣.

([٤٣٥]) ابن حيون، افتتاح، ص١٧٢.

([٤٣٦]) ابن عذاري، م.س، جـــ١، ص ١٤٥ .

أضطر فريقاً منهم إلي الفرار إلى صقلية هرباً من بطش الشيعي[٤٣٨]وحين قصد القيروان "هال الناس أمره، وخرج إليه الفقهاء ووجوه الناس...فانصرفوا أقبح انصراف"[٤٣٩]، كما طالب بعض عامة القيروان العلماء بالترخيص لهم في التشيع[٤٤٠]

ولنا أن نقدر حالة الرعب التي تملكت أهل برقة حين قتل حباسة بن يوسف ألف رجل من أعيانهم "فأمر بجمع جثثهم، ووضع عليها كرسياً وجلس فوقه، ثم أدخل وجوه أهل البلد فنظروا إلى ما هالهم من كثرة القتلى، ومات منهم ثلاثة آلاف من الخوف والرعب"[٤٤١].ومن غير المستبعد أن تكون أصداء "السياسة الدموية" التي تعامل بها القائم الفاطمي مع بربر برقجانة قد دفعت بربر هوارة ولماية إلى الطاعة والاستسلام، فقد دخل حصن أغرز وهدم سوره على من حوله فلقوا حتفهم جميعا، واسر من في الحصن وانتهب ما فيه"فأجابت هوارة ولماية إلى طاعة الشيعة"[٤٤٢]، وحين عاينت القبائل مصير أهل زبرقة على يد القائم الفاطمي" أتته القبائل مذعنة بطاعته خائفة لسطوته"[٤٤٣]، وكان مجرد مرور جنود الفاطميين في الشوارع يثير الترويع والترهيب في نفوس ساكنيها[٤٤٤]، وبات القتل والتنكيل هاجساً مرعباً دفع الناس إلى تحاشي ذكر السلطان نهائياً في مجالسهم الخاصة[٤٤٥]، وقد عبرت تلك الفئات المغلوبة عن خضوعها للسلطة بمقتضى القهر والسيف من خلال الأمثال الشعبية[٤٤٦].فهل تسمح لنا تلك المعطيات بالشك في نصوص الإسماعيلية المغلفة بمسوح مذهبية لإعطاء صورة مثالية عن ميل قلوب الرعية إلى السلطة وعن حالة الاطمئنان والسكينة التي غمرتهم؟[٤٤٧].

---

(٤٣٧) ابن عذاري، م.س، جـــ١، ص١٤٦.

(٤٣٨) Amari, M., *Storia die Musulmani di Sicilia* (Catani, 1933 – 1935), t.2, p.167.

(٤٣٩) ابن عذاري، م.س، ج١، ص١٤٩.

(٤٤٠) الدباغ، م.س، ج٢، ص٢٩٨.

(٤٤١) ابن عذاري، م.س، ج١، ص١٧٠..

(٤٤٢) ابن عذاري، م.س، ج١، ص١٩٣.

(٤٤٣) إدريس، تاريخ، ص٢٢٥.

(٤٤٤) المالكي، م.س، ج٢، ص٢٦٧.

(٤٤٥) المالكي، م.س، ج٢، ص٣٣٠.

(٤٤٦) منها قولهم، "عبيدك أسيدنا، قال بالزز لا بالرضى".الزجالي، أمثال العوام في الأندلس، تحقيق محمد بن شريفة، مطبعة محمد الخامس، فاس، ج٢، ، ١٩٧١م، ص٢٢٣.

(٤٤٧) ابن حيون، افتتاح، ص١٨٥؛ إدريس، تاريخ، ص١٧٨.

يفرض الاستبداد السياسي والقهر المادي والتهميش، حالة مأزقية غير قابلة للاحتمال واقعياً، مما يدفع المقهور إلى الذوبان في مرجعية روحية وسلطة إلهية لإنشاء تحالف"في اللاوعي"مواجه للسلطة المدنية بكل جبروتها وغلوائها[٤٤٨]، "إنه يعلو على فضاء الدولة، ويعد هذا الانعتاق من رق الأغيار بمثابة احتجاج على بؤس الواقع السلطوي، وزفرة في وجه السلطة الجائرة" [٤٤٩].وهكذا التحق بموجة الهاربين من سطوة الفاطميين إلى ساحة الزهد والأربطة جملة من العلماء[٤٥٠]بين "عالم أو عابد كان يستتر وينزوي بدينه من بني عبيد"[٤٥١]محتجين بالفرار من مجاورة الظالمين[٤٥٢]، وهو ما تصدى له فريق آخر منبهاً على ضرورة عدم الانسحاب وترك الساحة للشيعة لفرض مذهبهم ومزاولة عنفهم ضد العامة[٤٥٣].

عددت روايات المصادر مظاهرَ المقاومة السلبية لسياسة العنف الفاطمي من قبل بعض المالكية، ففضلاً عن اجتهاد بعضهم في استنقاص السلطة واتهامها بالكفر والإلحاد وتأليب الرعية ضدها[٤٥٤]وعصيان أوامرها[٤٥٥]، وكتابة شعارات سرية لإثارة غضبها[٤٥٦]تحاشي آخرون التعامل مع الشيعة بكافة أشكاله ورفضوا ممارسات الدولة وتبرئوا من معاملاتها غير المشرعة في نظرهم[٤٥٧]، في حين آثر فريق ثالث المقاومة عبر ظاهرة التأليف كنوع من السلاح في مواجهة الشيعة[٤٥٨]، وهي وسائل تسببت –حسب البعض– في عزل السلطة الفاطمية في محيطها[٤٥٩]

---

([٤٤٨]) حجازي، م.س، ص٩١ ، ٩٢ ، عبدالله حمودي، م.س، ص٢٧.

([٤٤٩]) جان شوفيلي، التصوف والمتصوفة، ترجمة عبد القادر فنيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ١٩٩٩، ص١٣٣، حمودي، م.س، ص١١٧.

([٤٥٠]) عياض، م.س، ج٢، ص١٦١.

([٤٥١]) اللبيدي، م.س، ص٤٧.

([٤٥٢]) ورد عن مالك قوله بأنه لا ينبغي المقام بأرض يعمل فيها بغير الحق والسب للسلف.ابن أبى زيد القيرواني، الجامع ، ص١٥٦.

([٤٥٣]) عياض، م.س، ج٢، ص٢٢٨.

([٤٥٤]) ابن حيون، المسايرات، ص٥٣٦، الذهبي، تاريخ، ج٩، ص٣٣٧.

([٤٥٥]) الخشني، م.س، ص٢٣١.

([٤٥٦]) ابن عذاري، م.س، ج١، ص١٥٢.

([٤٥٧]) اللبيدي، م.س، ص٣٥، ٤٧؛ المالكي، م.س، ج٢، ص١٠٧ ، ٢٥٣، ٢٩٨، ٣٠٦؛ الدباغ، م.س، ج٣، ص٢٣٧.

([٤٥٨]) عياض، م.س، ج٢، ص٢١، ٤٥، ١٤٣، ١٦١؛ الدباغ، م.س، ج٣، ص٢٢، ٩١، ٩٢. كما ألف الدودي كتابه "الأموال" للتصدي لسياسة الفاطميين المالية الجائرة معرضاً لاستئثار السلاطين بأرض الخراج،

"لما كان كل فعل عُنفي يستثير مضاداته العنفية"[٤٦٠]فقد ارتد عنف السلطة الفاطمية تجاه الرعية إليها من خلال عنف مضاد وثورات مسلحة، تجلت من خلالها ردة فعل الجماعة المغلوبة التي أعلنت عن نفسها في ممارسة عملية يكمن في تفاصيلها عصب الممانعة أمام واقع الغلبة، فنتيجة تحامل الكتاميين على أهل القيروان واستطالتهم عليهم بالأذى ونهب الحوانيت عام ٢٩٩هـ/٩١٢م نادى أهل سوق القيروان "النفير النفير فقتل من كتامة أكثر من ألف رجل"[٤٦١]، كما امتدت أيدي الرعية بالتطاول على قوافل الفاطميين ونهبها، فحسب رواية الجوذري[٤٦٢]استغل تشكيل مسلح غيبة المنصور عن المهدية وترصدوا قافلة للفاطميين خرجت من المهدية "فانتهبوا ما كان لهم..واخذوا ما كان لأمير المؤمنين"، كما تؤكد المصادر أن الدافع وراء مشاركة المالكية[٤٦٣]في ثورة أبي يزيد النكاري[٤٦٤] هو مواجهة طغيان المنصور"لكثرة ما كان من جور هذا وقتله للناس واستصفائه الأموال"[٤٦٥]، وحسب رواية الذهبي"[٤٦٦] قام الثائر النكاري على "بني عُبَيْد، والناس على فاقة وحاجةٍ لذلك، فقاموا معه وأَتوه أفواجًا".

آتت المقاومة المسلحة أكلها وأجبرت السلطة الفاطمية على العدول إلى سياسة الرفق واللين والمهادنة وامتصاص الغضب الجماهيري، فبعد ردة الفعل العنيفة التي حدثت بعد قتل

---

واتخاذهم مال الله دولاً، ومعاملة أهل الغصب والظلم، والارض المغصوبة، والدعوة لمقاطعة النظام المالي والاقتصادي الذي اتبعه الفاطميون الداودي، م.س، ص ص ٨٣، ٩١، ١٧٧، ١٧٩ ، ١٨١.

(459) Teerrasse, H., "Un Tournant de l'histoire musulmane", *Hespéris* 34 (1947), p.318.

(٤٦٠) خليل أحمد، م.س، ص١٩.

(٤٦١) ابن عذاري، م.س، ج١، ص١٦٦.

(٤٦٢) م.س، ص٦٩.

(٤٦٣) عن مبررات مشاركة المالكية في الثورة رغم الخلاف المذهبي مع صاحبها انظر المالكي، م.س، ج٢، ص٣٣٩.

(٤٦٤) بخصوص هذه الثورة وخطورتها على الوجود الفاطمي بالمغرب انظر، إحسان عباس، مصادر ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد، مجلة الأصالة، الجزائر، مج٦، ١٩٧٧، ص٢٥ – ٤٢؛ أحمد الطويلي، "مدينة القيروان زمن ثورة أبي يزيد الخارجي ، (النقود كشاهد)"، أعمال ندوة موقع القيروان في الثقافة الإسلامية من تاريخ التأسيس إلى اليوم – الدين والأدب، مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان، مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان ، تونس، ٢٠١٠م، ص ص٤٧٩–٥٠٨؛ Tourneau, R., "La révolte d'Abu-Yazid au Xème siècle.", *Cahiers de Le Tunisie* 1(1953), pp.103-125.

(٤٦٥) ابن عبد الجبار، م.س، ج٢، ص٦٠٢.

(٤٦٦) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٧، ص٦٣٦.

المهدي للشيعي"خرج المهدي وسكن الفتنة وكف الدعاة عن طلب التشيع من العامة"[٤٦٧]، وحين تجرأ ثلة من أهل القيروان على الدخول على المهدي يوجهون إليه اللوم في إطلاق يد عماله وجنوده بالإفساد والإغارة على الأموال، عمد إلى امتصاص غضبهم وخشي من اتساع دائرة التذمر الشعبي، فأقسم لهم بأنها أمور جرت دون علمه، ووعدهم بالإنصاف، واصدر أوامره بالقبض على بعض الجنود وحبسهم[٤٦٨].ورغم فشل ثورة النكاري إلا أنها أجبرت الخليفة المنصور على استئلاف قلوب رعيته حيث"ضمن للناس تغيير سيرة أبيه وجده..وحلف على ذلك وأكد وأشهد..ووفى للناس بما وعد وعدل وأنصف..وإنما اظهر الرجوع عن سيرة أبيه وجده خوفاً مما جرى"[٤٦٩]، ثم قام بإصلاحات اجتماعية واقتصادية لصالح الرعية[٤٧٠]، وتقديم إعانات للفقراء والمساكين[٤٧١]، وعرض الأمان على من أشهروا السلاح ضده وتعهد بعدم التعرض لمذهبهم[٤٧٢]، وعمل على تعيين المالكية على المظالم والقضاء[٤٧٣]، وأراد بذلك "تسكين نفوس العامة والسنة"[٤٧٤]وهو ما لقي استحساناً من قبل المالكية[٤٧٥]، وقد عبر الذهبي[٤٧٦]عن ذلك قائلاً أن"بني عُبيد، أحسنوا السيرة مع الرعيّة، وتهذبوا وطووا ما يرومونه من إظهار مذهبهم الخبيث، وساسوا مُلكهم، وقنعوا بإظهار الرفض والتشيع"، وحسب شهادة ابن عبد الجبار[٤٧٧]"لما انكشف أمر أبي يزيد عمن بالمغرب كفوا عن المكاشفة للعامة بشتم الأنبياء وتعطيل الشرائع"، وذهب عياض[٤٧٨]إلى أن الهدف من هذه الإجراءات هو"تسكين نفوس أهل السنة والناس.وما كان منهم بعد فتنة أبي يزيد".وكان عدول المعز الفاطمي عن

---

([٤٦٧]) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج١، ص٦٨.

([٤٦٨]) ابن عذاري، م.س، ج١، ص١٨٦.

([٤٦٩]) ابن عبد الجبار، م.س، ج٢، ص٦٠٣؛ إدريس، تاريخ، ص٣٧٩-٣٨٠.

([٤٧٠]) إدريس، تاريخ، ج٥، ص١٩٥.

([٤٧١]) الجوذري، م.س، ص٥١؛ ابن حماد، م.س، ص٤٧.

([٤٧٢]) ابن الأثير، م.س، ج٧، ص١٤٦.

([٤٧٣]) عياض، م.س، ج٢، ص٤٣؛ الذهبي، أعلام النبلاء، ج١٥، ص١٥٨.

([٤٧٤]) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٧، ص٧١١.

([٤٧٥]) الدباغ، م.س، ج٢، ص٢٦.

([٤٧٦]) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٧، ص٦٨٦.

([٤٧٧]) ابن عبد الجبار، م.س، ج١، ص١٠٧

([٤٧٨]) عياض، م.س، ج٢، ص٤٣.

سياسة العنف تجاه الرعية وراء عدم حدوث ثورات ضده حيث أنه"رفق بالناس وتمكن، وصفت له المغرب فما تحرك عليه احد"[٤٧٩].

**خاتمة واستنتاجات:**

هذه صورة حية عن ظاهرة العنف التي طبعت سياسة الفاطميين تجاه رعاياهم منتقاة من مصادر مختلفة، وإن طغى على بعضها طابع المغالاة، لكن دون أن تفقد أهميتها في مثل هذه الدراسات، لعصر قلت فيه المصادر وانعدمت فيه الوثائق الأرشيفية كبقية فترات العصر الوسيط بالمغرب، ومن خلال الدراسة يمكن الخروج بالملاحظات الآتية:

١. تصب مختلف الإشارات المصدرية في تأكيد حقيقة الصراع المحموم الذي شهده حكم الفاطميين لبلاد المغرب مع المعارضين في سبيل ترسيخ السلطة وتوطيد أركانها، وهو ما تجلى في كثرة تحركات الخلفاء وقوادهم وضخامة المجهود الحربي الذي بذلوه من أجل قمع المعارضين، مما خلف العديد من الضحايا، وألقى بظلاله الوخيمة على الوضعية الاقتصادية/الاجتماعية[٤٨٠].

٢. تنوعت وتعددت مسببات عنف الفاطميين تجاه الرعية، إلا أنه تم تغليفها بغلاف ديني؛في عصر فرضت فيه لغة العنف والسطوة نفسها على الساحة الفقهية، وتَمَكَّنَ السلطان من أرباب القلم واحتوى القضاء والفتوى، وأمسك بمخنق الفقهاء في ردة تاريخية ما زالت تداعياتها متناسلة إلى اليوم[٤٨١].

٣. لم تكن سياسة العنف متواصلة طوال العصر الفاطمي، بل اقتصرت على فترات معينة باختلاف طبائع الأئمة وما يعتقدونه مناسباً لكسب مودة رعاياهم، وظلت تلك السياسة متأرجحة بين التصلب والتسامح إلى حد ثورة أبي يزيد النكاري التي تسببت في حالة من الوئام بين الفاطميين وعلماء افريقية، وتجلى ذلك في سياسة المنصور الذي اتبع المصالحة مع الرعية[٤٨٢]، حيث اشتهر "بكثرة الصلات و..النعم والأيادي المتواصلات..واخرج جميع من

---

([٤٧٩]) ابن عبد الجبار، م.س، ج٢، ص٦٠٣.

([٤٨٠]) انظر بخصوص ذلك الليبدى، المصدر السابق، ص٢٤، المالكى، المصدر السابق، ج١، ص٨١، ١٣٨، ١٩٩، ٢١٧، ٢٢٠، ٣٦١؛ الدرجينى، المصدر السابق، ص١٦١، الشماخى، المصدر السابق، ص٢٦٠، ابن عذاري، م.س، ج١، ص ٢٥٦-٢٥٧.

([٤٨١]) أحمد الطاهري، الفلاحة والعمران القروي بالأندلس خلال عصر بني عباد، مركز إسكندرية للكتاب، ٢٠٠٤م، ص٩٢.

([٤٨٢]) الداعي إدريس، عيون الأخبار وفنون الآثار في فضائل الأئمة الأطهار، نشر فرحات الدشراوي، تونس ١٩٧٩، ص١٩٤، ١٩٧، ٢١٥.

كانوا في السجون وأكثر من الصدقات للفقراء والمساكين"[٤٨٣]، لذا وصفته كتابات السنة بأن "فيه إسلام في الجملة وعقل بخلاف أبيه...محبباً إلى الرعية"[٤٨٤].

٤. لم يكن عنف الفاطميين مجرد آليات منفردة لا تعبر عن نهج سلطوي، ولكنه كان مكوناً بنيوياً أساسياً لنظامهم السياسي، وشمولياً طالت شظاياه جميع شرائح المجتمع ابتداء من قمة الهرم الاجتماعي إلى أسفله، كما تنوع بين عنف موجه ضد أفراد وآخر أخذ شكلاً جماعياً، كذا تعددت أساليبه ابتداء من العنف الجسدي بتعذيب المعارضين من خلال إبادتهم وتصفيتهم والتنكيل بأجسادهم، إلى العنف اللفظي والأيدولوجي الذي طبع لغة الحكم المطلق.

٥. كان عنف الفاطميين موجه بشكل كبير إلى المالكية، نتيجة اتساع قاعدتهم الشعبية، وقيامهم بدور النخبة الرافضة لسياسات الحكام الجائرة والحارسة لمصالح الرعية والمجابهة للضيم والمظالم[٤٨٥]، مقارنة بغيرهم من الفرق الأخرى، فنتيجة الأحقاد بين المالكية والحنفية[٤٨٦]، وتحت ضغط الأغلبية الشعبية المالكية كان الأحناف أكثر مرونة وطواعية واستعداداً للتعاون مع الحكم الفاطمي، فضلاً عن الرغبة في الحظوة والنفوذ[٤٨٧]، أما الخوارج والمعتزلة فكانوا أقلية نخبوية ضعيفة التأثير على العامة، غلبت عليهم سياسة المداراة والسلامة[٤٨٨]، واعتنق بعضهم المذهب الشيعي[٤٨٩]، وقبلوا المهادنة مع الفاطميين، وتقربوا إليهم والتحقوا بمجالسهم العلمية[٤٩٠].

٦. لم ترد بالمصادر إشارات تكشف عن تعرض يهود المغرب لأي شكل من أشكال العنف من قبل الفاطميين، بل خلافاً لذلك كانت افريقية الفاطمية مقصداً لهجرات يهودية

---

([٤٨٣]) إدريس، تاريخ، ص٣٥٠، ٤٨٢.

([٤٨٤]) الذهبي، أعلام النبلاء، ج١٥، ص١٥٧، ١٥٩.

([٤٨٥]) محمود إسماعيل، "المالكية والشيعة"، ص٧٤.

([٤٨٦]) انظر بخصوصها الخشني، م.س، ص٢١٥، عبد العزيز المجدوب، الصراع المذهبي بأفريقية إلى قيام الدولة الزيرية، الدار التونسية للنشر، تونس، ط٢، ١٩٨٥م، ص٦١ وما بعدها.

([٤٨٧]) نجم الدين الهنتاتي، "تطور المذهب الحنفي بالقيروان خلال القرون الوسطى"، مجلة التاريخ العربي، المغرب، ع ١٣، ص٣١١، ثم تابع دراسة أحمد الحمروني، "المذهب الحنفي بإفريقية من منتصف القرن الثاني إلى منتصف القرن الخامس هجرياً"، مجلة الهداية، تونس، مج ٣، ع ١، ١٩٧٥م، ص ٦٧-٧٢.

([٤٨٨]) الدرجيني، م.س، ص١٠٥، ١١٤، المجدوب، م.س، ص٢١٥.

([٤٨٩]) تادايوش ليفيتسكي، دراسات شمال إفريقية، ترجمة أحمد بومزقو، مؤسسة تاوالت الثقافية، ٢٠٠٥م، ص٣٧.

([٤٩٠]) الشماخي، م.س، ص ٣٥٨-٣٥٩.

متتابعة[٤٩١]، لما فشا من تسامحٍ فاطميٍ تجاه اليهود[٤٩٢]، وتمتع اليهود بمكانة مرموقة لدى السلطة، وتولوا الوظائف العامة، وتملقوا الفاطميين من خلال العمل كجواسيس وعيون ضد المسلمين[٤٩٣]، مما جرأ بعضهم على معتقدات المسلمين وتمادوا في إيذاء مشاعرهم الدينية دون خوف من نزول العقوبة[٤٩٤]، ولقيت وضعية يهود افريقية المتميزة خلال العصر الفاطمي استهجان فقهاء المالكية الذين وقفوا من اليهود –المتعاونين مع أعدائهم الفاطميين– موقفا عدائياً دون النصارى[٤٩٥]، وهو ما دفع بعضهم للفتوى بعدم إعطاء الزكاة للفاطميين لأنهم ينفقونها على اليهود[٤٩٦]، ولم يتورع آخرون عن التعريض بعلاقة حميمية ربطت اليهود بالفاطميين[٤٩٧]، بل والتمادي لدرجة القدح في نسب العبيديين والتأكيد على يهوديته[٤٩٨] ووصف دولتهم بـــ"الدولة اليهودية"[٤٩٩]، والتهكم من خلال توجيه النصائح الساخرة إلى الرعايا المسلمين تحت حكم الفاطميين أن يتهودوا إذا أرادوا الغنى وتولى المناصب الرفيعة[٥٠٠].

٧. يبدو أن المذابح الجماعية التي تعرض لها بقايا الشيعة الموجودة في بلدان افريقية عام٤٠٧هـــ/١٠١٦م على يد جماهير الغوغاء وبتحريض من علماء المالكية كانت ردة فعل طبيعي تم التنفيث من خلالها عن حالة الغليان التي سببتها أعمال العنف الفاطمي من قتل وقهر واضطهاد وتعذيب ضد الرعية، وبلغ الانتقام الشعبي درجة كبيرة حتى أن العامة

---

([٤٩١]) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق احسان عباس، دار الثقافة، لبنان، (د.ت)، ج٧، ص ٢٩؛ Goitein, S.D., *A Mediterranean Society: the Jewish communities of the Arab world as portrayed in the documents of the Cairo Geniza* (California,1983), vol.1, p.32.

([٤٩٢]) جوايتاين، دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، ترجمة عطية القوصي، الكويت، وكالة المطبوعات، ط١، ١٩٨٠، ص٢٠٠.

([٤٩٣]) الدرجيني، م.س، ص ص١٢٤، ١٣٢.

([٤٩٤]) عياض، م.س، ج٢، ص ٤٣.

([٤٩٥]) نجم الدين الهنتاتي، "مواقف علماء المالكية من أهل الذمة بافريقية إلى منتصف القرن الخامس الهجري"، مجلة معهد الآداب الشرقية، تونس، العدد ١٨٦، ٢٠٠٠، ص٧٠.

([٤٩٦]) الفارسي، مناقب محرز بن خلف، تحقيق روجيه ادريس، باريس، ١٩٥٩، ص ١٥٦؛ عياض، المدارك، ج٢، ص ٢٨٨.

([٤٩٧]) ابن أبي الفضائل، كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة، تحقيق محمد بن على الجوالى، مركز الدراسات والبحوث اليمنى، صنعاء، ١٩٩٤، ص ٧٧؛ المالكى، م.س، ج٢، ص ص ٣٤٦، ٤٩٤.

([٤٩٨]) ابن عذارى، م.س، ج١، ص ١٥٩؛ ابن الأثير ، م.س، ج٦، ص٤٤٧؛ الحموى، م.س، ج٥، ص ٢٣٠.

([٤٩٩]) الذهبى، تاريخ الإسلام، ج٣٩، ص ٢٧٥.

([٥٠٠]) السيوطى، م.س ، ج٢، ص١١٦.

انبسطت أيديهم على الشيعة فقتلوا منهم عددا كبيراً، ولم يسلم منهم حتى الذين احتموا بالمسجد الجامع بالمهدية حيث قتلوا عن آخرهم رجالا ونساء، ثم امتدت حالة التقتيل والتمثيل بالشيعة واغتصاب نسائهم إلى المنصورية والمهدية[٥٠١] .

إن اختيار هذا الموضوع لا يعني أن ظاهرة العنف كانت حكراً على الفاطميين دون سواهم، فهي سياسة عامة ميزت تاريخ السلطات في العصر الوسيط بشكل عام، وهو ما دفع البعض إلى التأكيد على عدم النظر إلى العقوبات كمجرد آليات للقمع، وإنما يجب معالجتها كوظيفة اجتماعية، تجعل السلطة مضطرة لاستخدام العنف[٥٠٢]، وتعتبره عادياً من أجل الحفاظ على كيانها[٥٠٣]والتغلب في التنافس المفتوح[٥٠٤]، وبشكل يجعل من الإرغام أول مصادرها[٥٠٥]، بل وطابعها المميز[٥٠٦]، بغية تأسيس سلطة قوية التمركز، ودولة موحدة غير قابلة للتساهل مع الانتفاضات، وهكذا اعتبر أحد الباحثين[٥٠٧]أن واحداً من الوجوه الأساسية للسلطة وشرط توطدها واستمرارها هو على الدوام الإكراه والتهديد المذل للجسد والاستيلاء عليه وتحويله إلى أداة، ومن المنظور ذاته شبه باحث آخر[٥٠٨]دورة العنف بـــ"بقعة زيت متوسعة باستمرار جعلت العنف مكوناً بنيوياً أساسيا للنظام السياسي المغربي... التي تتحقق من خلالها تحولات التاريخ النوعية والانتقال من نظام مجتمعي إلى آخر".وهو ما يدفع إلى القول بضرورة توجيه البحث التاريخي نحو العقل التأديبي للسلطات المغربية القروسطوية بشكل عام لتكوين صورة عامة وشاملة عن علاقة الحكام بالمحكومين وإماطة اللثام عن العقوبات الزجرية المنتهجة وعلاقتها بالواقع التاريخي للقبائل والمدن.

---

([٥٠١]) ابن عذاري، م.س، ج١، ص ص ٢٦٨-٢٦٩.

([٥٠٢]) روبير رديكر، "من السلطة إلى العنف، أفول الساسة"، ترجمة فؤاد مخوخ، مجلة فكر ونقد، الرباط، عدد٥٦، السنة ٦، ٢٠٠٤، ، ص١٠٠، ويرى ميشيل فوكو أن السياسة في أبسط معانيها تعني"القدرة على تحديد سلوك الآخرين والتحكم به".انظر مقاله ، "المفرد والجمع، نحو نقد العقل السياسي"ترجمة عبد اللطيف قطميش، مجلة الفكر العربي، العدد٥٧، السنة ١٠، ١٩٨٩، ص٢١٧.

([٥٠٣]) محمد المالكي، "العنف في العلاقات الدولية-قراءة في تاريخ المفهوم ودلالاته المعاصرة"، مجلة الوحدة، ع٦٧، ابريل ١٩٩٠م، ص٦، علوض، م.س، ص١٤٣.

([٥٠٤]) مشيل فوكو، مسيرة فلسفية، ترجمة جورج أبي صالح، منشورات مركز الإنماء القومي، بيروت، د.ت، ص١٣٠؛ عبدالله حمودي، الشيخ والمريد، النسق الثقافي للسلطة في المجتمعات العربية الحديثة، ترجمة عبد المجيد جحفة، دار توبقال، الرباط، ط٣، ٢٠٠٣م ، ص٨٧.

([٥٠٥]) القمودي، م.س، ص٥١.

([٥٠٦]) محمد حلمي عبد الوهاب، م.س ، ص٥٨.

([٥٠٧]) نيكولاس بولانتزاس، م.س، ص٢٦.

([٥٠٨]) محمد سبيلا، "العنف بين الدولة والمجتمع في مغرب ما بعد الاستقلال"، مجلة المستقبل العربي، لبنان، مج ٢٩، ع ٣٣٦، ٢٠٠٧، ص١١٧ ، ١١٩ .

# قائمة المصادر والمراجع

**أولاً:المصادر:**


- إخوان الصفا(ق٤هـ/١٠م):الرسائل، القاهرة، ١٩٢٨م.
- ابن الابار(أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى بكر القضاعى، ت٦٥٨ هـ/١٢٦٠م):الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط٢ ١٩٨٥، جزآن.
- ابن الأزرق( أبو عبد الله محمد بن على بن الاصبحى الغرناطى، ت٨٩٦ هـ/١٤٦٤م):بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق علي سامي النشار، وزارة الإعلام، العراق، د.ت.
- ابن الأثير( عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري ت٦٣٠ هـ/١٢٣٢م):الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٧م.
- الازموري (أبو عبدا لله محمد بن عبدا لله، ت٧٣١هـ/١٣٣٠م): بهجة الناظرين وانس العارفين، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية تحت رقم٤٣٧، تاريخ
- البرزلي(أبو القاسم بن أحمد البلوي التونسي، ت٨٤١هـ/١٤٣٧م ):جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام ، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٢م.
- ابن بسام(أبو الحسن على بن بسام الشنترينى، ت٥٤٢ هـ/١١٤٧ م):الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج٥، تحقيق إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٨١م.
- ابن بشكوال(أبو القاسم خلف بن عبد الملك، ت٥٧٨هـ/١١٨٢م):الصلة في أخبار أئمة الأندلس، نشر السيد عزت العطار، القاهرة، ج٢، ١٩٦٦، حكام، تقديم إحسان عباس، بيروت، ١٩٨٣م.
- البكرى(أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب، ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م):المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، (د.ت).
- التجانى(عبد الله بن محمد بن احمد ، ت٧١٧هـ/١٣١٧م):الرحلة، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، ليبيا، (د.ت).

- ابن تيمية(أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم، ت٧٢٨هـ/١٣٢٨م):السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، تحقيق وتعليق محمد إبراهيم البنا ومحمد احمد عاشور، مطابع دار الشعب، القاهرة، ١٩٧١م.
- ابن عبد الجبار(عبد الجبار بن أحمد **بن عبد الجبار** الهمذاني، ت٤١٥هـ/١٠٢٤م): ثبيت دلائل النبوة، دار المصطفى، القاهرة، د.ت .
- الجوذرى( أبو على منصور العزيزى، ت منتصف ق٤هـ/١٠م):سيرة الأستاذ جوذر وبه توقيعات الفاطميين، تحقيق محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادي، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٥٤م.
- ابن حماد(ابو عبد الله محمد بن على بن عيسى، ت٦٢٦هـ /١٢٢٨م):أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق التهامي نقرة وعبد الحليم عويس، دار الصحوة للنشر، القاهرة.
- الحموى: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي الرومي، ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م):معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م.
- الحميري(محمد بن عبد الله بن عبد المنعم، تق٩هـ/١٥م):الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ١٩٨٠ م.
- ابن حوقل(أبو القاسم النحيبي، ت٣٨٠هـ/٩٩٠م ):صورة الأرض منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٩٢م.
- ابن حيون المغربى(القاضى أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور، ت٣٦٣هـ/٩٧٣م):الرسالة المذهبة، تحقيق عارف تامر، دار الإنصاف، سوريا، ١٩٥٦م.
- ابن حيون المغربى: كتاب الاقتصار، تحقيق محمد وحيد ميزرا، دمشق، ١٩٥٧.
- ابن حيون المغربى:دعائم الإسلام، تحقيق آصف بن علي فيضي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣م
- ابن حيون المغربى كتاب افتتاح الدعوة، تحقيق فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ١٩٧٥م.
- ابن حيون المغربى:آداب إتباع الأئمة، تحقيق مصطفى غالب، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٥م.
- ابن حيون المغربى:شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، تحقيق محمد الحسيني الجلالي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٠٧هـ.

- ابن حيون المغربى:كتاب المجالس والمسايرات، تحقيق الحبيب الفقي وآخرون، دار المنتظر، بيروت، ١٩٩٦م.
- ابن حيون المغربى:المناقب والمثالب، تحقيق ماجد العطية، منشورات مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٢م.
- ابن حيون المغربى:كتاب الإيضاح، تقديم وإعداد محمد كاظم رحمتي، منشورات مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٧م.
- الخشنى(أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد القيروانى، ت٣٦١هـ/٩٧١م): طبقات علماء افريقية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د.ت.
- ابن الخطيب(لسان الدين محمد السليمانى، ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م):تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، تحقيق أحمد مختار العبادي و محمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٦٤م.
- ابن خلدون(عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون الحضرمى، ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م):تاريخه، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م.
- ابن خلدون:المقدمة، حققها وقدم لها وعلق عليها عبد السلام الشدادي، بيت الفنون و العلوم و الآداب ، الدار البيضاء، ٢٠٠٥م.
- ابن خلكان(شمس الدين أبو العباس احمد، ت٦٨١ هـ/١٢٨٢م):وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، لبنان، (د.ت).
- الداعى ادريس(عماد الدين القرشى، ت ٨٧٢ هـ/١٤٦٧م): كتاب عيون الاخبار وفنون الاثار"، جـ٥، تحقيق فرحات الدشراوى، تونس، ١٩٧٩.
- الداعي إدريس: تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب (القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار)، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥م .
- الداعي إدريس: زهر المعاني، تحقيق مصطفى غالب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩١م.
- الداودى(أبو جعفر احمد بن نصر، ت٤٠٢ هـ/١٠١١م): كتاب الأموال، تحقيق:رضا محمد سالم، ط.دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٨م.
- الدباغ(أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الانصارى، ت٦٩٦هـ/١٢٩٦م):معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق إبراهيم شبوح وآخرين، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٦٨م.
- الدرجينى(أبو العباس احمد، ت منتصف ق ٧هـ/١٣م):طبقات المشائخ بالمغرب، تحقيق: إبراهيم طلاي، قسنطينة، ١٩٧٤م.

- الذهبى (شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان، ت ٧٤٨هـ/، ١٣٧٤ م ):سير أعلام النبلاء، تحقيق:شعيب الارناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٩ ، ١٤١٣هـ.
- الذهبي:العبر في خبر من غبر، تحقيق محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
- الرازي(أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني ت٣٩٥ هـ/١٠٠٤ م):معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩م.
- الزجالي( أبو يحيى عبيدالله بن احمد، ت٦٩٤هـ/١٢٩٤م):أمثال العوام في الأندلس، تحقيق محمد بن شريفة، مطبعة محمد الخامس، فاس، ج٢، ، ١٩٧١م.
- ابن ابى زرع(أبو حسن بن عبد الله الفاسى، ت ٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م):الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ط.دارالمنصور للطباعة والنشر، الرباط ١٩٧٢م.
- ابن ابى زيد(أبى محمد عبد الله، ت ٣٨٦هـ/ ٩٢٨م):كتاب الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ، تحقيق محمد أبو الأجفان وعثمان بطيخ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣م.
- ابن أبي زيد القيرواني:النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات، ج٢، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، دار الغرب الاسلامى، ١٩٩٩.
- ابن أبي زيد القيرواني:الفتاوى، جمع وتحقيق وترتيب حميد لحمر، دار اللطائف للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٢م.
- السيوطى(جلال الدين عبد الرحمن ت ٩١١هـ/١٥٠٤م ):حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٧ م.
- أبو شامة(عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان المقدسي، ت٦٦٥هـ/١٢٦٧م):كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، وضع حواشيه وعلق عليه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م.
- الشطيبي المغربي(عبد الله محمد بن على بن محمد بن حسين بن حيون، ت٩٦٣هـ/١٥٥٥م):الجمان في أخبار الزمان، مخطوط بالهيئة المصرية العامة للكتاب، تحت رقم ١٤١٦ تاريخ ، ١٤١٩٧ ميكروفيلم، ورقة ٢٠٩ .

- الشماخى(أبو العباس احمد بن سعيد بن عبد الواحد، ٩٢٨ هـ/١٥٢٢ م):كتاب السير، المطبعة البارونية، القاهرة، ١٣٠١هـ.
- الشهرستاني( تاج الدين عبد الكريم بن أبي بكر أحمد، ت٥٤٨هـ/١٠٨٥م)نهاية الإقدام في علم الكلام، حرره ألفرد جيوم، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت.
- ابن عذارى(أبو محمد عبد الله بن محمد المراكشى، ت٧١٢هـ/١٣١٣م): كتاب البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب، ج١، تحقيق: ج.س كولان وليفي بروفنسال، ط٣، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣م.
- ابو العرب تميم(محمد بن احمد بن تميم القيروانى، ت٣٣٣هـ/٩٤٢م): كتاب المحن ، تحقيق يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٣، ٢٠٠٦م.
- ابن عساكر(على بن الحسن بن هبة الله الدمشقى، ت٥٧١هـ/١١٧٦م): تبيين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبى الحسن الاشعرى، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ.
- العمري(شهاب الدين أبي العباس أحمد بن يحيى بن فضل الله، ت٧٤٩هـ/١٣٤٩م):مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٤٢٣هـ.
- عياض(القاضى عياض بن موسى بن عياض السبتى، ت٥٤٤هـ/١١٤٩م): ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق محمد سالم هاشم دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨ م.
- ابن غازي(محمد بن احمد بن محمد بن غازي العثماني المكناسي، ت٩١٩هـ/ ١٥٨٣م):الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط٢، ١٩٨٨م.
- الغزالى(ابو حامد محمد بن محمد، ت٥٠٥هـ/١١١١م):كتاب الاقتصاد في الاعتقاد، عارض أصوله وقدم له إبراهيم آكاه وحسين آتاي، أنقرة، ١٩٦٢م.
- الغزالي:إحياء علوم الدين، نشر مكتبة ومطبعة كرياطه فوترا، سماراغ، اندونيسيا، د.ت.
- الغزالي:التبر المسبوك في نصيحة الملوك، تحقيق محمد مصطفى أبو العلا، مكتبة الجندي، القاهرة، د.ت.
- الفارسى(أبو الطاهر محمد بن الحسين):مناقب محرز بن خلف، تحقيق روجيه إدريس، باريس، ١٩٥٩م.

- ابن فرحون(برهان الدين إبراهيم بن شمس الدين محمد بن فرحون المالكى، ت٧٩٤/١٣٩١م):الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تحقيق محمد أحمدي أبو النور، القاهرة، ١٩٧٢م.
- ابن الفرضي(أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر القرطبي، ت٤٠٣هـ/١٠١٣مم):تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، عني بنشره وصححه السيد عزت العطار، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٥٤م.
- ابن أبي الفضائل(محمد بن مالك بن أبي الفضائل الحمادي اليماني، ت٤٧٠هـ/ ١٠٧٨ م):كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة، تحقيق محمد بن على الجوالى، مركز الدراسات والبحوث اليمنى، صنعاء، ١٩٩٤م.
- اللبيدى:أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد، ت ٤٤٠ هـ/١٠٤٨م):مناقب أبى إسحاق الجبنيانى، تحقيق روجيه إدريس، باريس، ١٩٥٩.
- المالكى( عبد الله بن أبى عبد الله، ت ق٤هـ/١٠م):رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية، تحقيق بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٩٤م.
- الماوردي(أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م):الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الحديث، القاهرة، د.ت.
- الماوردي:تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك وسياسة الملك، تحقيق ودراسة رضوان السيد، دار العلوم العربية، بيروت، ١٩٨٧م.
- مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد، ط. الدار البيضاء، ١٩٨٥.
- مجهول:ذكر بلاد افريقية وحدودها، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية تحت رقم ٨٠ جغرافيا غير مفهرس .
- المعز لدين الله(أبو تميم معدّ بن منصور الفاطمي/ت٤٦٥هـ/٩٧٥م):تأويل الشريعة، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، تحت رقم ٣٥٧ متفرقات، 25288 ميكروفيلم.
- المعظم عيسى(الملك **المعظم** شرف الدين **عيسى** بن سيف الدين أحمد سلطان دمشق، ت٦٢٤هـ/١٢٢٧م):السهم المصيب في كبد الخطيب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٣٢م.
- المقدسى( أبو عبد الله محمد بن احمد المعروف بالبشارى، ت حوالى ٣٨٠ هـ/٩٩٠ م):أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولى، ط٣، ١٩٩١.

- المقريزى( تقى الدين احمد بن على بن عبد القادر، ت ٨٤٥ هـ/١٤٤١ م اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا تحقيق جمال الدين الشيال، وزارة الأوقاف، مصر، ط٢، ١٩٩٦م.
- المقريزي:المقفى الكبير، تحقيق محمد اليعلاوى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩١م.
- الملطي(محمد بن أحمد بن عبد الرحمن، أبو الحسين، ت٣٧٧هـ/٩٨٨م):التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، تحقيق محمد زاهد الكوثري، مكتبة الثقافة الإسلامية، القاهرة، ١٩٤٩م.
- ابن منظور( جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن على، ت٧١١هـ/١٣١١م): لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٩٩٤م.
- ابن النديم(أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد بن إسحاق الوراق البغدادي ت٤٣٨ه/١٠٤٧م ):الفهرست، تحقيق إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٧م.
- النسفي(عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل بن لقمان الحنفي، ت٥٣٧هـ/١١٤٢م):شرح العقائد النفسية، تحقيق طه سعد، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- النويرى( شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب ، ت٧٣٣ هـ/١٣٣٢ م):نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٢٨، تحقيق نجيب مصطفى فواز وحكمت فواز، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م.
- الونشريسى (أبو العباس احمد بن يحيى، ت ٩١٤ هـ/١٥٠٨ م): المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل افريقية والاندلس والمغرب، تحقيق: مجموعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، ط. دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨١م، الاجزاء ١ ، ٢ ، ٦ ، ٧ ، ٩ .
- اليماني(محمد بن محمد ، ت ق٤هـ/١٠م):سيرة جعفر الحاجب، نشر ايفانوف، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة، م٤، جـ٢، ١٩٣٦م.
- أبو يوسف(يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن حبتة الأنصاري ت ١٨٢هـ/٧٩٨م): كتاب الخراج، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٩م.

**ثانياً:المراجع العربية والمعربة**

- إحسان عباس:"مصادر ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد"، مجلة الأصالة، الجزائر، مج٦، ١٩٧٧م، ص ص ٢٥-٤٢.
- أحمد الحمروني:"المذهب الحنفي بإفريقية من منتصف القرن الثاني إلى منتصف القرن الخامس هجرياً"، مجلة الهداية، تونس، مج ٣، ع ١، ١٩٧٥م، ص ٦٧-٧٢.

- أحمد الطويلي:"مدينة القيروان زمن ثورة أبي يزيد الخارجي : (النقود كشاهد)"، أعمال ندوة موقع القيروان في الثقافة الإسلامية من تاريخ التأسيس إلى اليوم – الدين والأدب، مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان، مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان ، تونس، ٢٠١٠م، ص٤٧٩-٥٠٨.
- اربك فروم:الخوف من الحرية، ترجمة مجاهد عبد المنعم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٢م.
- إسماعيل السامعي:الدولة الفاطمية وجهود القاضي النعمان في إرساء دعائم الخلافة ببلاد المغرب العربي، مركز الكتاب الأكاديمي، الجزائر، ٢٠١٠م.
- إسماعيل بونوالا:"القاضي النعمان والفقه الإسماعيلي"، ضمن كتاب الإسماعيليون في العصر الوسيط، ترجمة سيف الدين القصير، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، ١٩٩٩، ص ص ١٢٥-١٤٦.
- اليزابيث بيكار وآخرون:ظاهرة العنف السياسي من منظور مقارن، مركز البحوث والدراسات السياسية، جامعة القاهرة، القاهرة، ١٩٩٥م.
- ألفرد بل:الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، ترجمة عبد الرحمن بدوي، بنغازي، ١٩٦٦م.
- أوبيير دريفوس وبول رابينوف:ميشـــــــــــيل فوكو:مســـيرة فلسفية، ترجمة جورج أبي صالح، مركز الإنماء العربي ، بيروت، د.ت.
- ايفان هربك:"بروز الدولة الفاطمية"، مقال ضمن كتاب تاريخ إفريقيا العام، م٣، اليونسكو، ط٢، ١٩٩٧م، ص ٣٤٩-٣٧٠.
- برهان غليون:"ملاحظات حول الدولة في المجتمعات النامية- آليات السيطرة والعنف"، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي، ع ١٤ ،١٥، ١٩٨١م، ص٠-٤٦.
- بوبة مجاني:"المدرسة الفكرية الإسماعيلية في المرحلة المغربية"، حولية التاريخ الإسلامي الوسيط، قسم التاريخ بآداب عين شمس، مصر العربية للنشر والتوزيع، م١، ص ١٠-٣٥.
- بوبة مجاني:" أثر الضرائب في ثوابت و متغيرات سياسة الخلافة الفاطمية في مرحلتها المغربية"، مجلة دراسات تاريخية، سوريا، مج٢٠، ع ٦٧-٦٨، ١٩٩٩م، ص ص ١٢٧-١٥٧.
- ثروت بدوي:النظم السياسية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٦م.

- جاستون بوتول:سوسيولوجيا السياسة، ترجمة نسيم نصر، منشور عويدات، بيروت، ١٩٨٠م.
- جان شوفيلي:التصوف والمتصوفة، ترجمة عبد القادر فنيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ١٩٩٩م.
- جان لوك:رسالة في التسامح، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨.
- جميل صليبا:المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
- جوايتاين:دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، ترجمة عطية القوصي، الكويت، وكالة المطبوعات، ١٩٨٠م.
- الحبيب الجنحاني:"السياسة المالية للدولة الفاطمية بالمغرب"، ضمن كتابه المجتمع العربي الإسلامي، عالم المعرفة، ع٣١٩، ٢٠٠٥م، ص٢٠٧-٢٢٠.
- الحبيب الفقهي:التأويل أسسه ومعانيه في المذهب الإسماعيلي، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، الجامعة التونسية، تونس، د.ت.
- حسن علوض:"عن العنف والاستبداد -مقاربة نقدية للمفاهيم والدلالات في ظل تحولات الحراك العربي"، مجلة الكلمة، قبرص، مج٢٠، ع٨١، ٢٠١٣م، ص ١٣٨-١٥٥.
- حسين الصديق:الإنسان والسلطة:إشكالية العلاقة وأصولها الإشكالية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١م.
- الحسين بولقطيب:"نظام العقوبات والسجن بالمغرب الوسيط، مساهمة في دراسة العقل التأديبي المغربي خلال العصر الوسيط"، مجلة فكر ونقد، ع٢٣، ١٩٩٩ م، ص٤٣-٥٢.
- خليل أحمد خليل:"سوسيولوجيا العنف"، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي، لبنان، ع ٢٧ ،٢٨، ١٩٨٣م، ص١٩-٢٩.
- رضوان السيد:"المجتمع والسلطة:إشكاليتا الاستمرار والوحدة"، مجلة الفكر العربي، العددان ٣٣-٣٤، أغسطس ١٩٨٣، ص٤-٦.
- رفيق سكري:"العنف الفكري والدعاية السياسية"، مجلة الفكر العربي، معهد الإنماء العربي للعلوم الإنسانية، ع٧١، مارس ١٩٩٣م، ص١١٦-١٢٧.
- روبير رديكر:"من السلطة إلى العنف:أفول الساسة"، ترجمة فؤاد مخوخ، مجلة فكر ونقد، الرباط، عدد٥٦، السنة ٦، ٢٠٠٤م، ص ٥١-٦٠.
- الزواوي بغورة:"الخطاب بين المجتمع والسلطة والمقاومة"مجلة إبداع، مصر ، مج ١٨، ع ٦ ، يونيو ٢٠٠٠م، ص١٣٦-١٤٢.

- زيد بن علي الفضيل:"العنف في الخطاب الفكري وتداعياته:التأثير السياسي على جدلية العلاقة بين الحقيقة و المجاز في خطابنا الفكري الإسلامي"، مجلة المسار، اليمن، مج ١٢، ع٣ ، ٢٠١١م، ص ٨٣-١٠٩.
- سالم القلموني:سيكولوجية السلطة بحث في الخصائص النفسية المشتركة للسلطة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٩م.
- سالم حميش:"في التاريخ المونوغرافي، نموذج الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون"، ضمن أعمال ندوة الحاضرة الإسماعيلية، منشورات كلية الآداب، مكناس، ١٩٨٨م، ص ٢٠٨-٢١٢.
- السيد محمد عبد الرحمن:"التأويل وأبعاده العقائدية والفلسفية عن المعز لدين الله الفاطمي"، مجلة كلية الآداب، جامعة حلوان، ع٥، يناير ١٩٩٩، ص ١٦١-٢٠٥.
- صلاح الجابري:حفريات في الاستبداد، معهد الأبحاث والتنمية الحضارية، بيروت، ٢٠١٠م.
- عارف تامر:القائم والمنصور الفاطميان أمام ثورة الخوارج، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٢م.
- عبد الجواد ياسين:السلطة في الإسلام:العقل الفقهي السلفي بين النص والتاريخ، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٨م.
- عبد الحي شعبان:الدولة العباسية، الفاطميون ١٣٢-٤٤٨هـ، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٦م.
- عبدالله حمودي:الشيخ والمريد:النسق الثقافي للسلطة في المجتمعات العربية الحديثة، ترجمة عبد المجيد جحفة، دار توبقال، الرباط، ط٣، ٢٠٠٣م.
- عبدالله العروي:مفهوم الدولة، المركز الثقافي العربي، الدر البيضاء، ط٩، ٢٠١١م.
- عبد المجيد الصغير:الفكر الأصولي وإشكالية السلطة العلمية في الإسلام، قراءة في نشأة علم الأصول ومقاصد الشريعة، دار المنتخب العربي، ط١ ١٩٩٤م.
- عبد الناصر حريز:الإرهاب السياسي دراسة تحليلية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٦م.
- علي أومليل:"الإسلام والدولة الوطنية"، مجلة الفكر العربي، لبنان، العددان٣٣-٣٤، أغسطس١٩٨٣، ص٤٣٩-٤٤٩.
- على أومليل:"السلطة السياسية والسلطة العلمية:الغزالي، ابن تومرت، ابن رشد"، ضمن ندوة:أبو حامد الغزالي:دراسات في فكره وعصره وتأثيره، كلية الآداب، الرباط، ١٩٨٨.

- عمر حمادي:"حول نعت الدولة الفاطمية بالتشريق ونعت الداخلين فيها بالمشارقة"، حوليات الجامعة التونسية، تونس، ع ٣٩، (١٩٩٥)، ص٢٨١ – ٣٠٤ .
- فرانسوا رانجون:"السلطة والعنف"، ترجمة بدر الدين عرودكي، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي، لبنان، ع٢٧، ٢٨، ١٩٨٣م، ص ٧٩-٩٥.
- قبي آدم:"رؤية نظرية حول العنف السياسي"، مجلة الباحث، الجزائر، م١، ٢٠٠٢ م، ص ١٠٢-١١٠.
- كمال عبد اللطيف:في تشريح أصول الاستبداد:قراءة في نظام الآداب السلطانية، دار الطليعة، بيروت، ١٩٩٩م
- كولن ولسون:سيكولوجية العنف، ترجمة رفعت السيد علي، جماعة حور الثقافية، ٢٠٠١م.
- مجموعة مؤلفين: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ٢٠٠٥م.
- محمد أركون:نزعة الأنسنة في الفكر العربي جيل مسكويه والتوحيدي، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، ١٩٩٧م.
- محمد حلمي عبد الوهاب:ولاة وأولياء السلطة والمتصوفة في إسلام العصر الوسيط، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ٢٠٠٩م.
- محمد رجالة:"ابن خلدون ومسألة التعذيب والقتل"، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن طفيل بالقنيطرة ، لمغرب،ع٨، ٢٠٠٨ م، ص١٠٥-١٢١.
- محمد سبيلا:الأيدلوجية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٢م.
- محمد سبيلا:"العنف بين الدولة والمجتمع في مغرب ما بعد الاستقلال"، مجلة المستقبل العربي، لبنان، مج ٢٩، ع ٣٣٦ ، ٢٠٠٧م، ص١١٦-١٢٣.
- محمد طه الحاجري:مرحلة التشيع في بلاد المغرب العربي وأثرها في الحياة الدينية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٣م.
- محمد المالكي:"العنف في العلاقات الدولية-قراءة في تاريخ المفهوم ودلالاته المعاصرة"، مجلة الوحدة، باريس، ع٦٧، ابريل ١٩٩٠م، ص ٦-٢١.
- محمود إسماعيل:"المالكية والشيعة بافريقية إبان قيام الدولة الفاطمية" المجلة التاريخية المصرية، مصر، مج ٢٣، ١٩٧٦، ص ٧٣-١٠٥.
- محمود إسماعيل:"محنة المالكية في افريقية المغربية"، ضمن كتابه:مغربيات، مطبعة فضالة، فاس، ١٩٧٧، ص٥٧-٨٣.

- محمود إسماعيل:"من سمات الخطاب السلطوي إزاء نشاط المعارضة في الإسلام"، أدب ونقد ، مصر،مج ٥، ع ٤٢، ١٩٨٨م، ص٢٨-٣٥.
- محمود إسماعيل:"أثر الايدولوجيا في صياغة بعض مصطلحات الفرق الإسلامية"، ضمن كتابه دراسات في الفكر والتاريخ الإسلامي، سينا للنشر، ، القاهرة، ١٩٩٤، ص٩٣-١١٤.
- محمود إسماعيل:"فقهاء الرب وفقهاء السلطان"، أدب ونقد، مصر، ع ٢٢٦، ٢٠٠٤ م، ص٢٩-٣٨.
- محمود إسماعيل:"صور المقاومة في المخيال الشعبي-سيرة علي الزيبق انموذجاً"، أدب ونقد، مصر، مج٢٣، ع٢٥٢، ٢٠٠٦م، ص٩٣-١٠٢.
- محمود عكاشة:خطاب السلطة الإعلامي، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، ، ط٢، ٢٠٠٧م.
- مصطفى حجازي:التخلف الاجتماعي:مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، ط٩، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٥م.
- منصور اولسون:السلطة والرخاء، ترجمة ماجدة بركة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٣ .
- موسى لقبال:"وحدة الخلافة الإسلامية تحت راية الفاطميين، هدف الإستراتيجية الإسماعيلية تجاه العباسيين"، مجلة تاريخ وحضارة المغرب، جمعية التاريخ الجزائرية، الجزائر، عدد١٢، ١٩٧٤م.
- ميشيل فوكو:"المفرد والجمع:نحو نقد العقل السياسي"ترجمة عبد اللطيف قطميش، مجلة الفكر العربي، لبنان، ع٥٧، م ١٠، ١٩٨٩م، ص ٢١٧ - ٢٣٧.
- ميشيل فوكو:إرادة المعرفة، ترجمة جورج أبي صالح، مركز الإنماء العربي، ١٩٩٠م.
- ميشيل فوكو:المراقبة والمعاقبة ولادة السجن، ترجمة علي مقلد، مركز الإنماء القومي، بيروت، ١٩٩٠م.
- مشيل فوكو، مسيرة فلسفية، ترجمة جورج أبي صالح، منشورات مركز الإنماء القومي، بيروت، د.ت.
- نجم الدين الهنتاتى: "تطور المذهب الحنفي بالقيروان خلال القرون الوسطى"، مجلة التاريخ العربي، ع ١٣

- نجم الدين الهنتناتي:"مواقف علماء المالكية من أهل الذمة بافريقية إلى منتصف القرن الخامس الهجري"، مجلة معهد الآداب الشرقية، تونس، العدد ١٨٦، ٢٠٠٠م، ص٥٩-٧٧.
- نيكولاس بولانتزاس: نظرية الدولة، ترجمة ميشيل كيلو، التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠١٠م.
- هادي العلوي: فصول من تاريخ الإسلام السياسي، مركز الأبحاث والدراسات الاشتراكية في العالم العربي، قبرص، ١٩٩٩.
- هيصام موسى:التمكين للمذهب المالكي في المغرب الأدنى والأوسط بين القرنيين الرابع والسادس الهجريين، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، ٢٠١٣م
- ياسر الهلالي:"عنفنا الأليف ومستقبلنا المخيف"، مجلة فكر ونقد، المغرب، ٥٥، يناير٢٠٠٤م، ص ٩٩-١٠٢.

**ثالثاً الدراسات الأجنبية:**

- **Amari, M.**, *Storia die Musulmani di Sicilia*, Catani, 1933 – 1935.
- **Bloch, M.**, *Slavery and Serfdom in the middle Ages*, London, 1975.
- **Goitein, S.D**., *A Mediterranean Society the Jewish communities of the Arab world as portrayed in the documents of the Cairo Geniza*, California, 1983.
- **Ivanow, W.**, *Ismaili Tradition Concerning the Rise of the Fatimids*, London,1942.
- **Julien, C**., *Histoire de l'Afrique du Nord :des origines à 1830*, Paris,1952.
- **Levin, R**., & Campbell, T., *Ethnocentrism: Theories of Conflict Ethnic Attitudes and Group Behavior*, New York, 1972.
- **Marcais, G.,** ***La Berberie musulmane*** *el I'Orient au moyen age*, Paris 1946.
- **Poonawala, I**., *Bibliography of Ismaili Literature*, Malibu, Californa, 1977.
- **Wilkinson, P**., *Terrorism and the Liberal State*, New York, 1977.
- **Sebag, P**., *La grande mosquée de Kairouan*, 1963.
- **Terrasse, H**., "Un Tournant de l'histoire musulmane", *Hespéris* 34(1947), pp. 305-338
- **Terrasse, H.**, *History of Morocco*, Casablanca, 1952.
- **Tourneau, R**., "La révolte d'Abu-Yazid au Xème siècle." *Cahiers de Le Tunisie* 1(1953), pp.103-125.
- **Vonderheyden, M.**, *La Berbèrie orientale sous la dynastie des Benou-l- Aghlab (800-909)*, Paris, 1927.